



العدد
٤٢١

السنة السادسة والثلاثون
صفر ١٤٤٣ هـ - أيلول ٢٠٢١ م

جامعية - فكرية - ثقافية



أيها المسلمون في أفغانستان: اجعلوا من نصركم نصراً للإسلام،

وليس لأفغانستان فحسب

الأذرع المالية
للدول الرأسمالية
الكبرى

ص
٢٠

دور الاستعمار
في إثارة التّحركات
العرقية الانفصالية
في العالم الإسلاميّ

ص
٢٣

العمل الوحيد
الذي يخرج المسلمين
من حياة الضنك إلى
حياة العز

ص
١٤

المحتويات

العدد
٤٢١

السنة السادسة والثلاثون
صفر ١٤٤٣ هـ
أيلول ٢٠٢١ م

- ٣ • كلفة الوعي: أيها المسلمون في أفغانستان: اجعلوا من نصركم نصراً للإسلام، وليس لأفغانستان فحسب
- ٧ • لِمَآذَا كُتِلَ هَذَا الرَّعْبُ مِنَ الْإِسْلَامِ؟ (٢) استراتيجية الغرب في حرب الإسلام... ملامح مفصلية
- ١٤ • العمل الوحيد الذي يخرج المسلمين من حياة الضنك إلى حياة العز
- ١٧ • حكم الرموز والأعلام في الإسلام (٢)
- ٢٣ • دور الاستعمار في إثارة التّعرات العرقية الانفصالية في العالم الإسلامي (١) (التعرة الأمازيغية البربرية نموذجاً)
- ٣٠ • الأذرع المالية للدول الرأسمالية الكبرى
- ٣٣ • أخبار المسلمين في العالم
- ٣٧ • مع القرآن الكريم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا...﴾
- ٤١ • رياض الجنة: (ما من الأنبياء من نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر)
- ٤٤ • حقائق ذات بهجة: الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه
- ٤٨ • فبهدهم اقتده: حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه
- ٥١ • كلمة أخيرة: كيسنجر: لهذه الأسباب فشلت الولايات المتحدة في أفغانستان
- ٥٢ • غلاف أخير: الإسلام يمكن أن يكون بوابة لرؤية عالمية أكثر ديمقراطية وتعددية

مثنى النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.د.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	٥١ أميركي
باكستان	٥١ أميركي
أستراليا	٥٢,٥
أميركا	٥٢,٥
كندا	٥٢,٥
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

أيها المسلمون في أفغانستان: اجعلوا من نصركم نصراً للإسلام، وليس لأفغانستان فحسب

لا شك أن أمريكا، كدولة أولى في العالم، كان لها مصالحها وحساباتها الدولية الخاصة عندما احتلت كل من أفغانستان والعراق، وكذلك الأمر عندما انسحبت منه، فما هي هذه الحسابات وهذه المصالح اليوم؟

بداية نقول: إن انسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان جاء ليكشف عن نيتها ترك نهج احتلال الدول الأخرى، والتدخل العسكري المباشر، واستعمال قواتها العسكرية (الصلبة) هذا النهج الذي صاحب مشروع القرن الذي تبنته في عهد بوش الابن والمحافظين الجدد... والعودة إلى النهج السابق القائم على الاحتواء القائم على عمل المخابرات في شراء الذمم، وصناعة الحكام العملاء، وعمل الانقلابات، والدخول في أحلاف وتزعمها، واعتماد طريقة الحروب السياسية بدل العسكرية، والقيام بالضغوط الاقتصادية، واستعمال أدواتها من المنظمات الدولية... حتى ترجع الدول وتجعلها تخضع لها من غير احتلالات ولا هجومات ولا تكبد خسائر بشرية ولا مالية ولا من يحزنزن... وفي هذا الصدد وعد بايدن أن بلاده ستسحب كذلك من العراق، ووضع آخر هذه السنة موعداً لذلك.

لقد تيقنت أمريكا، خلال العشرين سنة التي مضت من الاحتلال لأفغانستان أنها لن تستطيع أن تكسر شوكة المسلمين هناك، ولن تستطيع هزيمتهم لا في حربها الفكرية ولا في حربها العسكرية معهم، وأن مشروعهم لإقامة الخلافة الذي قامت بهذا الاحتلال من أجل منعه ما زال قائماً لم يهتزْ بالرغم من كل المكر والإجرام اللذين مارستهما بحقهم في حربها العالمية عليهم والتي سمتها كذباً وزوراً بـ (الحرب على الإرهاب)؛ ولكن الذي حدث هو العكس، فإنهم هم من جعلوا النظام الرأسمالي العالمي الذي تتزعمه يهتزُّ سنة ٢٠٠٨م... والولايات المتحدة الآن عندما تعلن انسحابها من أفغانستان فكأنما تعلن عن فشلها في حرب الأفكار والقيم هذه.

ومن جهة أخرى رأت أمريكا أن الصين هي المستفيد الأكبر من هذه الحرب في تعزيز موقعها الدولي على حساب الموقع الدولي لأمريكا؛ حيث ينقل المحللون والمراقبون الدوليون

أن الصين صارت منذ الأزمة المالية وحتى اليوم ورشة التصنيع فى العالم، والشريك التجاري الأول لمعظم الاقتصادات الرئيسية، وأيضاً المحرك الأول لنمو الاقتصاد العالمي. ويتفق المحللون السياسيون على أن التحدى الذى تفرضه الصين على أمريكا رهيب، وأن الخصومة بينهما ستتخذ شكل «منافسة قصوى» وفي هذا الصدد، وصف دينيس روس، مستشار الرئيس الأمريكى السابق باراك أوباما لشؤون الشرق الأوسط، بأن العلاقة بين الولايات المتحدة والصين ستكون علاقة تنافسية للغاية. وأعلنت أفريل هاينز، والتي تم تعيينها مديراً للمخابرات الوطنية، أن الولايات المتحدة يجب أن تتبنى موقفاً جريئاً ضد التهديد الذى تشكله الصين... إن الصين بنظر أمريكا هي ماردمن الصعب حصره متى خرج من قمقمه، وخط النمو الاقتصادي التصاعدي لديها سيمكّنها من الخروج عن طوق الالتزام بقانون النقد الدولي وهيمنة الدولار على حركة التجارة العالمية وتحكّمه فى كل المبادلات التجارية... وبما أن استمرار الحرب فى أفغانستان يستنزفها ولا أفق انتصار فيه، ويفتح الطريق واسعاً أمام الصين لمنافستها على مركز الدولة الأولى فى العالم. إذًا، لا بد تجاه هذا الواقع من الانسحاب...

بيد أن انسحاب أمريكا من أفغانستان هو كما يبدو من ضمن خطة لها تريد أن تعكس فيها الأدوار، وهذه الخطة تقوم على إشغال الصين بمنازعات داخلية تستنزفها مثل تسليط الضوء على قضايا حقوق الإنسان كاضطهادها للإيغور وجهودها الحثيثة للقضاء على هويتهم وثقافتهم الإسلامية... ومثل مقاومة السلوكيات التى تتجاوز الحدود من الضغوط القسرية على الهند، إلى الحملات القمعية فى هونج كونج، إلى التهديدات ضد تايوان... ومثل سعي الولايات المتحدة إلى بناء تجمع بين المحيطين الهندي والهادي كتحالف أوكوس الجديد الذى أعلنه الرئيس بايدن مع كل من أستراليا وبريطانيا والذى يمكن أستراليا من امتلاك غواصات تعمل بالطاقة النووية لضمان أمن المحيط الهندي والهادي... هذا وقد أشار وزير الخارجية الأمريكية أنتوني بلينكن مؤخرًا إلى أن «التحالف بين الولايات المتحدة وأستراليا لم يكن أكثر أهمية أو قوة مما هو عليه الآن».

هذه هو التوجه العام لدى أمريكا الذى يقف وراء الانسحاب. والآن: ما هي خطتها الجديدة المتوقعة ضد المسلمين والتي تمنعهم من إقامة دولتهم الجامعة والتي شغلها لعشرين سنة خلت وفشلت فيها؟ إذ ليس من المتوقع أن تذر المسلمين ليقيموا دولتهم الجامعة نتيجة فشلها.

تجد أمريكا اليوم نفسها أنها ما زالت أمام هذين المنافسين؛ ولكن مع فارق أنها فشلت في القضاء على الإسلام السياسي ومشروعه في إقامة دولته الجامعة المنافسة لها، ومع فارق أن الصين فقد تقدمت أشواطاً كبيرة في طريق المنافسة الدولية على زعامة العالم، وأنه صار عليها تدارك ذلك بإرجاعها إلى الوراء... وتجد نفسها أنها مجبرة على التعامل معهما معاً... فما هي خطة مواجهتهما المتوقعة؟.

والمتوقع أنها تريد أن تضربهما ببعضهما لإضعافهما معاً؛ ولأنه لا سبيل أمامها إلا هذا السبيل، ويبدو عليها أنها تسير بهذا الاتجاه. ففي الوقت الذي تقوم فيه بمحاصرة الصين والتضييق عليها وإحاطتها بالدول المخاصمة لها، وبدء إنشاء الأحلاف ضدها... نرى أنها تحاول أن تجعل الرياح عند المسلمين تنحصر باتجاه معاداة الصين مستغلة ما تقوم به من عمليات إبادة عرقية للإيغور، عاملة على مدهم بالمال والسلاح من أجل مواجهتها... تماماً كما حدث مع الاتحاد السوفياتي عندما أمدت المقاتلين الأفغان بالسلاح الفتاك والفعال؛ ما أجبر الاتحاد السوفياتي على الانسحاب وهو يجزّر معه أذيال الهزيمة... بالمختصر، إنها تريد أن توقع الصين بما وقع به الاتحاد السوفياتي من قبل وأدى إلى انهيار منظومته الفكرية والسياسية... وبما تقع به هي اليوم وتحاول استباق خسارة موقعها الدولي بالانسحاب منه. هذا وتظن أمريكا أن مثل هذه الخطة يمكن أن تنجح خاصة وأن عدد المسلمين في الصين يصل إلى عشرات الملايين، ثم إن الصين محاطة فعلاً ببلاد إسلامية، مجاورة ومتاخمة لحدودها، ويمكن بسهولة بالنسبة إلى أمريكا أن تنجح في تأجيج مثل هكذا صراع، وخاصة أن لها باعاً طويلاً في مثل هذا النوع من الصراعات، وها هي دول الخليج حاضرة للانصياع والمشاركة في تنفيذ مثل هذه الخطة، وهم لهم سابق تجربة في ذلك (البوسنة والهرسك وكوسوفو وفي أفغانستان من قبل ضد الاتحاد السوفياتي، وفي سوريا والعراق الآن...) وكذلك هي أدخلت كلاً من تركيا وإيران على خط مثل هذه التدخلات، وسوريا والعراق أكبر شاهد على ذلك اليوم، وستحاول أن تحيّد روسيا وقد تستفيد منها مقابل ثمن تؤديه لها في مكان ما في العالم كعادتها. هذا هو المتوقع، وهذا ما تشير إليه تصرفات وتصريحات المسؤولين الأمريكيين، فما على المسلمين هناك أن يفعلوه تجاه هذه الخطة المتوقعة؟

إن عليهم أن لا ينجرفوا فيما يخطط لهم، وأن يخططوا هم لا أن يكونوا أدوات بيد غيرهم من دول الكفر المجرمة، ومن حكام دول الخيانة العملاء الموالين للغرب وسياساته... عليهم أن

يتوجهوا نحو دينهم توجهاً خالصاً لله وحده ليخلصهم مما يكاد ويخطط لهم، عليهم أن يعلموا أن لا خلاص لهم إلا بدينهم، وتحديداً إلا بدولة الخلافة التي تجمع المسلمين من أديانهم إلى أقصاهم، كجسد واحد في مواجهة ما يخطط لهم. ولعمر الحق فإن إقامة الدولة الإسلامية فيه الخلاص من كل كيد أو خطة مهما كانت خفية أو ماكرة، أي سواء أكانت هذه هي خطة أمريكا المتوقعة أم غيرها، وهي الوحيدة التي بإمكانها جمع المسلمين على صعيد واحد وهو إرضاء الله تعالى بإقامة الحكم بما أنزل الله، ثم أليس هذا ما تحاربه أمريكا ومعها المجتمع الدولي بأسره بما في ذلك الصين، إنهم يعرفون مدى خطورة هذه الدعوة، فإذا كانت أمريكا تريد من المسلمين أن يحاربوا الصين من منطلق عرقي أو قومي أو مسألة حقوق إنسان وحق تقرير مصير، فإن الله سبحانه يريد أن يكون ذلك من منطلق الإيمان بالله وحده، وابتغاء وجهه الكريم، وأن يكون الجهاد في سبيل الله وحده، فالله هو أغنى الشركاء عن شركه،

إن على المسلمين في أفغانستان وغير أفغانستان أن يعلموا أن الله فرض عليهم هو إقامة دولة الخلافة، وليراجعوا أقوال العلماء في اتفاقهم على فرضيتها... وها هو الخط الزمني لبلوغها والذي لا يعلمه إلا الله يقرب، فاجعلوا أيها المسلمون في أفغانستان ما حدث من انتصار لكم هو انتصار للإسلام وليس لأفغانستان، ولجميع المسلمين وليس لأهل أفغانستان فحسب. وإن مثل هذه الدعوة هي الوحيدة التي يمكنها جمع القبائل على كلمة سواء: أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا نمكن لعدو أبداً. فافتحوا قلوبكم لهذه الدعوة الربانية المخلصة وامثلوا لأمر الله تعالى فيها بقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

إن العمل لإقامة الخلافة هو الحل الوحيد الذي ينقذ المسلمين من كل أزماتهم، وفيه الخلاص، ولن يوقفه تأمر دولي ولا كيد ولا إجرام، وإنما المطلوب هو أن يعي المسلمون على هذه الحقيقة ويعملوا لها، وهي الآن لا تحتاج إلا إلى أهل نصره يمدون يدهم لأهل الدعوة إلى هذا المشروع ليقيموها معاً... فليكن ثوار أفغانستان وغيرهم أهلاً لهذا الشرف.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَمَا نَتَّظِرُ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١١﴾﴾. ■

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِمَاذَا كُلُّ هَذَا الرَّعْبُ مِنَ الْإِسْلَامِ؟ (٢)
استراتيجية الغرب في حرب الإسلام... ملامح مفصلة

ثائر سلامة، أبو مالك

لقد تدرجت مخططات الغرب لتدمير الإسلام وفق خطوات مفصلة استراتيجية
نذكر بعضها:

فنفذ كمال أتاتورك الشروط السابقة، فانسحبت الدول المحتلة من تركيا. ولما وقف كرزون وزير خارجية إنجلترا في مجلس العموم البريطاني يستعرض ما جرى مع تركيا، احتج بعض النواب الإنجليز بعنف عليه، واستغربوا اعتراف إنجلترا باستقلال تركيا التي يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب. فأجاب كرزون: لقد قضينا على تركيا، التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم. لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين: الإسلام والخلافة. فصقّ النواب الإنجليز كلهم وسكتت المعارضة.^٢

ثانيًا: القضاء على القرآن^٣ ومحوه أو

١ أنظر: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام، أيدوا أهله، لجلال العالم.

٢ كيف هدمت الخلافة، عبد القديم زلوم ص ١٩٠

٣ يقول المبشر وليم جيفورد بالجراف: «متى تواری القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدًا عن محمد وكتابه» جذور البلاء، عبد الله التل - ص ٢٠١. يقول المبشر تاكلي: «يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تمامًا، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدًا، وأن الجديد فيه ليس صحيحًا» التبشير والاستعمار د. مصطفى خالدي و د. عمرو فروخ ص ٤٠ (طبعة رابعة). ويقول غلادستون: «ما دام هذا القرآن موجودًا، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان» الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد - ص ٣٩. ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر مناسبة مرور مائة عام على احتلالها: «يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم.. ونقلل اللسان العربي من ألسنتهم، حتى ننتصر عليهم» المنار عدد ١١٩/١٩٦٢م.

أولًا: القضاء على حكم الإسلام بإنهاء الخلافة الإسلامية المتمثلة بالدولة العثمانية، رغم بعد حكمها - في فترة حكمها الأخيرة - عن روح الإسلام، إلا أن الأعداء كانوا يخشون أن تتحول هذه الخلافة من خلافة شكلية إلى خلافة حقيقية تهددهم بالخطر، ولأن القضاء على الحكم بالشرعية سيقضي جُلَّ الإسلام عن الوجود في الواقع بالضرورة، وسيمهد لإدخال التشريعات والقوانين وأنظمة الحياة والمجتمع الوضعية مكان نظائرها المستنبطة من الشريعة الإسلامية، وسيمهد إسقاط النظام السياسي إلى تمزيق الأمة دويلات وقوميات مما يسهل استعمارها.

كانت فرصتهم الذهبية التي مهدوا لها طوال قرن ونصف هي سقوط الدولة العثمانية مع حليفاتها ألمانيا خاسرة في الحرب العالمية الأولى. دخلت الجيوش الإنجليزية، واليونانية، والإيطالية، والفرنسية أراضي الدولة العثمانية، وسيطرت على جميع أراضيها، ومنها العاصمة إسطنبول. ولما ابتدأت مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت إنجلترا على تركيا أنها لن تنسحب من أراضيها إلا بعد تنفيذ الشروط التالية:

(١) إلغاء الخلافة الإسلامية، وطردهم الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله.
(٢) أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

(٣) أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام.
(٤) أن تختار لها دستورًا مدنيًا علمانيًا بدلًا من دستورها المستمد من أحكام الإسلام.

وتجاوز النصوص ودلالاتها، وافتعال معارك بين العقل والنقل، والقرآن والعلم، وبمهاجمة التقليد والأحكام المستنبطة لتطويعها لتوافق التشريعات والقوانين الغربية. كتبت شيريل بيرنارد لمؤسسة راند التي تدعمها وزارة الخارجية الأمريكية في كتاب: الإسلام الديمقراطي المدني: «هناك حلول أخرى أيضًا، كما تطبق الحداثة مبدأ المصلحة، أو الصالح العام، التي تعود إلى الفقهاء المسلمين الإصلاحيين في القرن الثالث عشر، كشيء كان يعتقد أنه يمكن أن يتجاوز أو يلغي حتى القرآن نفسه»،

ويمثل هذا التوجه امتدادًا أرسته مدرسة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده العقلية^٦ لتقديم حكم العقل على النقل، وجعل التحسين والتقبيح عقليين؛ إذ يجعل محمد عبده «تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض^٧ أصلًا من أصول الإسلام»^٨، وتقوم على «مهاجمة التقليد وتطالب بإعادة النظر في التشريع الإسلامي كله دون قيد وظهرت

^٦ قد تسمى بالمدرسة التجديدية أو الإصلاحية كما في الموسوعة الفلسفية، والتي تستعير مصطلحًا استعمل وصفًا للبروتستانتية حين جدّدت التعاليم الكاثوليكية، بحجة أن الإسلام كان جامدًا كما يتم تدريسه في الأزهر من خلال الحواشي والمنتون، وأضحى غير صالح لمعالجة مشاكل الإنسان اليوم، مما احتاج معه -بنظرهم- إلى التجديد أو التطوير أو القراءة المعاصرة أو الحداثة، بمعنى التغيير والمرونة وإقحام العقل في التشريع،

^٧ هذه الجملة خطأ، فلا يمكن أن يجعل العقل حكمًا على الشرع حتى يقال بوجود تعارض، فمثلًا الربا حرام، ولا دخل للعقل للحكم على صحة أو عدم صحة هذا التشريع حتى يقال بوجود تعارض أصلًا!

^٨ الأصولية بين الغرب والإسلام، د. محمد عمارة ص ١٢.

تحريف فهمه، ومهاجمة السنة المطهرة؛ إذ القرآن هو المصدر الأساس لقوة المسلمين، وبقاؤه بين أيديهم حيًّا يؤدي إلى عودتهم إلى قوتهم وحضارتهم.

١ نفي صلة القرآن بالوحي. «وكان للجهود الغربية عدة مسارات لمهاجمة القرآن الكريم؛ فظهرت بحوث تنصيرية حول القرآن الكريم، تناولت مزاعم حول مصادر القرآن الكريم، وأنها تتكون من الوثنية، والحنيفية، والصابئة، والزرادشتية، والمسيحية، واليهودية. وهي مزاعم ثبت بطلانها بالواقع المخالف لها، وبمناقضة القرآن الكريم لها، وبالتحدي القائم حول الإتيان بمثل هذا القرآن إن كان من مصادر بشرية»^٩

٢ ولقد أقام الإسلام مناهج أصول دقيقة لفهم القرآن والسنة والاستنباط التشريعات منها وفق عملية منضبطة، فجرت محاولات حثيثة لضرب تلك المناهج، لهدم بنیان عملية الاجتهاد كلها من أساسه بتحكيم العقل في الوحي،

٤ وقد أثار هذا المعنى حادثه طريفة جرت في فرنسا، وهي إنها من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر قامت بتجربة عملية، قامت بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، وألبستهن الثياب الفرنسية، ولقنتهن الثقافة الفرنسية، وعلمتهن اللغة الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تمامًا. وبعد أحد عشر عامًا من الجهود هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دُعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون ... ولما ابتدأت الحفلة، فوجيء الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري ... فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عامًا!!!! أجاب لاکوست، وزير المستعمرات الفرنسي: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا!!!! جريدة الأيام - عدد ٧٧٨٠، الصادر بتاريخ ٦ كانون أول (١٩٦٢م).

٥ "ماذا يريد الغرب من القرآن؟"، للدكتور عبدالراضي محمد عبدالمحسن، الأستاذ المساعد بجامعة القاهرة، ٢٠٠٦ ص ١٤٨ مجلة البيان الإسلامية،

يرى كولسون: «إن السنة في القرن الهجري تعنى مجموع الآراء الفقهية المتَّفَق عليها بين علماء مدرسة فقهية معينة... ثم وصل الأمر في النهاية إلى نسبة تلك الآراء إلى النبي ﷺ نفسه»^{١٠}

٢ التشكيك في تدوين الحديث: قال جولد زيهر: «إن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأول والثاني، وأنه ليس صحيحاً ما يقال من أنه وثيقة للإسلام في عهده الأول - عهد الطفولة - ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام في عصر النضوج»^{١١}

٣ ومن ذلك التشكيك في الرواة والطعن فيهم: قال جوينبل^{١٢}: «إن الثقة ببعض كبار الصحابة لم تكن من الأمور المسلَّمة عند الجميع في أول الأمر، ولهذا نجد أن الثقة بأبي هريرة كانت محل جدل عنيف بين كثير من الناس»^{١٣}. وقال زيهر: «إن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير وبنى قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها ويطوفوا حولها بدلاً من الكعبة، ثم أراد أن يحمل الناس على الحج إليها بعقيدة دينية، فوجد الزهري وهو ذائع الصيت في الأمة الإسلامية مستعداً لأن يضع له أحاديث في ذلك، فوضع أحاديث، منها حديث: «لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا،

١٠ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية (ص ٢٦٩-٢٧٠)

١١ نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص ١٢٧، السنة قبل التدوين ص ٢٤٩

١٢ جو ينبل: هو تيودور وليم جوينبل مستشرق هولندي، كان قساً بروتستانتيّاً اهتم بدراسة تاريخ الشرق وآدابه، واللغة العربية حتى أصبح أستاذاً لها في عدة جامعات، توفي سنة ١٨٦١م

١٣ دائرة المعارف الإسلامية (7/336)

الفتاوى التي تقسم الربا إلى ظاهر وهو ربا النسيئة الذي يتضاعف فيه الدَّين أضعافاً مضاعفة، وربا خفي وهو ربا الفضل، ولا تحرم إلا ربا النسيئة... وظهرت الفتاوى التي تحظر تعدد الزوجات وتحظر الطلاق... وبذلك تحوّل الاجتهاد في آخر الأمر إلى تطويرٍ للشريعة الإسلامية يهدف إلى مطابقة الحضارة الغربية أو الاقتراب منها إلى أقصى ما تسمح به النصوص من تأويل على أقل تقدير»^{١٤}.

٣ هجمة شرسة على آيات الأحكام كالجهاد والسياسة والحكم والتكفير في القرآن الكريم لحذفها أو لمنع تدريسها في المدارس، وربط الإسلام والمسلمين بمسميات الأصولية والإرهاب والتطرف والعنف.

٤ هجمة شرسة تبغي إعادة شرح وتفسير القرآن بما يغير في المفاهيم الأساسية فيه تحت مسميات «قراءة معاصرة» أو «حداثة»، دون أي منهج منضبط في التفكير والاستدلال والاستنباط، بل وبلا أدنى معرفة باللغة العربية وأفنانها وقواعدها.

ثم تبع ذلك هجمة شرسة على السنّة المطهّرة لاستثنائها من التشريع الإسلامي، أو من خلال التشكيك في الأحاديث والطعن فيها وفي روايتها وفي منهج المحدثين أيضاً. ومن ذلك:

١ التشكيك في صحة نسبة السنّة للرسول ﷺ،

٩ الإسلام والحضارة الغربية، الدكتور محمد محمد حسين ص ٥٠

الإسلام:

إما من خلال «التشكيك في صلاحية الأحكام الشرعية للانطباق على الواقع، أو مهاجمة مفاهيم الشريعة كمفهوم الجهاد بقصره على جهاد الدفع فقط، وتعدد الزوجات، والميراث وغيرها، أو من خلال طرح الأفكار الرأسمالية وسؤال المسلمين عن موقف الإسلام منها، مثل نظام البنوك الربوية، والتأمين، والعلاقات التجارية بين الدول ما هو الحكم الشرعي فيها: هل يقول بحرية المبادلة، أم يقول بالحماية التجارية؟ ويسأل عن النظام النيابي والانتخابات الحرة: ما هو موقف الإسلام منها؟ ويسأل عن النزعات في التشريع: هل يقول الإسلام بالنزعة المادية أم بالنزعة النفسية؟ وهل يعتبر روح النص أم يعتبر النص وحده؟ ويسأل عن الحريات العامة كالحرية الشخصية وحرية الرأي والحرية الدينية، هل جاء الإسلام بشيء منها؟^{١٥}

أو من خلال تمييع مفاهيم الإسلام والدعاية للمفاهيم الغربية كالديمقراطية والحريات وحقوق الإنسان.

أما عن التراث، فيقول الدكتور فهمي جدعان: «أما نظرية «التراث» فتمثل نظراً واقعياً راهناً في هذا الموضوع الذي تلهج به كل الألسنة ويكتب فيه كل الكُتَّاب على اختلاف مشاربهم وغاياتهم وكفائاتهم، وغني عن القول إن هناك من يتصدى لمبحث التراث وهو لا يعرف كتاباً واحداً في «أصول الفقه» أو في «علم الكلام» أو في العلم العربي مثلاً. كما أننا نستطيع أن نقول الآن بقدر كبير من الاطمئنان أن بعض الماركسيين الهامشيين والطفيليين ممن يفتقرون إلى الرصانة قد أسهموا إسهاماً كبيراً في إثارة الجدل النظري العقيم حول الموضوع، كما أن بعض الكُتَّاب

١٥ نداء حار إلى المسلمين من حزب التحرير ص ٣ بتصرف

والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»^{١٤}.
٤ التشكيك في الإسناد جملة وتفصيلاً، كما فعل كايثاني (ت ١٩٢٦م) الذي زعم في حويلياته «أن الأسانيد أضيفت إلى المتون فيما بعد بتأثير خارجي؛ لأن العرب لا يعرفون الإسناد، وأن استعمال الأسانيد إنما بدأ أول ما بدأ بين عروة بن الزبير المتوفى سنة ١٥١هـ، وأن عروة لم يستعمل الإسناد مطلقاً، وابن إسحاق استعمله بصورة ليست كاملة».

٥ وأشار «شبرنجر» (ت ١٨٩٣م) إلى تعاسة نظام الإسناد، وأن اعتبار الحديث شيئاً كاملاً سندا ومنتناً قد سبب ضرراً كبيراً وفوضى عظيمة، وأن أسانيد عروة مختلفة ألصقها به المصنّفون المتأخرون. وأما «شاخ» (ولد ١٩٠٢م)، فقد أجرى دراسة على الأحاديث الفقهية وتطورها - على حد زعمه - أجزاها على كتابي «الموطأ» «لمالك و» «الأُم» «للشافعي وعمّم نتائج دراسته على كتب الحديث الأخرى، ثم خلاص إلى أن السند جزء اعتباطي في الأحاديث، وأن الأسانيد بدأت بشكل بدائي، حتى وصلت إلى كمالها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وأنها كانت كثيراً ما لا تجد أقل اعتناء؛ ولذا فإن أي حزب يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات فيضعها في الإسناد».

٦ ثم تبعت ذلك هجمة على مكانة السنة من التشريع، وروج أتباعها للاقتصار على القرآن وحده كمصدر للتشريع، وراحوا يكيلون التهم للأحاديث بأنها تناقض القرآن أو العقل بأقوال عارية عن أي دليل أو بينة!

ثالثاً: مهاجمة نظام الإسلام وتشريعاته، والتشكيك في التراث جملة وتفصيلاً ومهاجمة الفقه والفقهاء والأصول، والتشكيك في صلاحية

١٤ أخرجه البخاري (٥٦١/٢)، ومسلم برقم (827). المستشرقون والسنة النبوية، مجلة فكر الثقافية، د. علي

في شؤون العرب والمسلمين وفرض التوجهات السياسية على عالمنا فُتِحَ ما يحقق مصالحها، وتُحَرِّمَ ما يتعارض مع أهدافها ومخططاتها، فتفرض علينا الإصطفاف معها في حروبها مع (خصوصها) حتى ولو كانوا مثلنا عربًا مسلمين، ومن الأمثلة على ذلك (العراق، فلسطين، أفغانستان، كشمير،... إلخ). ومن أساليب التدخل: المطالبة بتغيير وتعديل مناهج التعليم وأن تقتصر على القليل من القيم الأخلاقية والتعبدية، ويكون التدخل أيضًا من خلال ادعاء الحرص على حقوق الأقليات الدينية (مثل ادعاء اضطهاد الأقباط في مصر)»^{١٩}.

خامسًا: تدمير أخلاق المسلمين، وعقولهم، وصلتهم بالله، وإطلاق شهواتهم:

١ يقول مرماديوك باكتول: «إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقًا. بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول، لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم»^{٢٠}.

٢ يقول المستشرق جب: «لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئًا فشيئًا حتى انحصرت في طقوس محددة، وقد تمَّ معظم هذا التطور تدريجيًا عن غير وعي وانتباه، وقد من الممكن الرجوع فيه، لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حدٍ بعيدٍ على القادة والزعماء في العالم الإسلامي، وعلى الشباب منهم خاصة. كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمي والثقافي العلماني»^{٢١}.

١٩ عشرة أسباب للخصومة مع الغرب، هل صحيح أن: الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا؟ زياد أحمد سلامة. ٢٠ جند الله - ص ٢٢، وكتاب: لم هذا الرعب كله من الإسلام جودت سعيد ص ٤٥.

٢١ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - ج ٢ - ص ٢٠٤ - محمد محمد البهي - ١٩.

الإسلاميين المولعين بالضجيج والإثارة قد أوقدوا هم النيران وأججوها»^{١٦}.

رابعًا: فرض الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية الحضارية على الأمة الإسلامية عبر معاهدات وأحلاف عسكرية، واتفاقات أمن متبادل، ومعونات اقتصادية ومالية، وديون ربوية، واتفاقات ثقافية، وهجمة حضارية تبغي احتواء الحضارة الإسلامية وطمسها وتذويبها في الحضارة الغربية تمامًا، وتسهيل نهب خيرات العالم الإسلامي لبقية تابعًا غير قادر على النهوض، وفرض أنظمة دكتاتورية في هذا العالم الإسلامي.

١ يقول المستشرق و. ك. سميث الأمريكي، والخبير بشؤون باكستان: «إذا أعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية، فإن الإسلام سينتصر في هذه البلاد، وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها».

٢ وينصح رئيس تحرير مجلة تايم في كتابه «سفر آسيا» الحكومة الأمريكية «أن تنشئ في البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون عودة الإسلام إلى السيطرة على الأمة الإسلامية، وبالتالي الانتصار على الغرب وحضارته واستعمارها»^{١٧}؛ لكنهم لا ينسون أن يعطوا هذه الشعوب فترات راحة حتى لا تنفجر.

٣ يقول هانوتو وزير خارجية سابق لفرنسا: «إن الخطر لا يزال موجودًا في أفكار المقهورين الذين أعتبتهم النكبات التي أنزلناها بهم، لكنها لم تثبط من عزائمهم»^{١٨}.

٤ «تعمل الدول الغربية على التدخل السافر ١٦ فهمي جدعان: نظرية التراث، ص ٨. عن دردشات حول فكر الدكتور شحرور للأستاذ زياد أحمد سلامة. ١٧ جند الله - ص ٢٩.

١٨ الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي الدكتور محمد البهي - ١٩.

والمماليك احتفظ الإسلام بقلعته أمام هجمات الصليبيين والمغول».

ثم يقول بالحرف: «إذا سبب الوضع الدولي الآن حرباً عنصرية، فإنه يمكن للإسلام أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرةً أخرى، أرجو ألا يتحقق ذلك».^{٢٤} وإبعاد المسلمين عن تحصيل القوة الصناعية ومحاولة إبقائهم مستهلكين لسلع الغرب.

٤ يقول أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢م: «إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً عنيفاً هو الخطر الإسلامي ... (ويتابع): فلنعط هذا العالم ما يشاء، ولننقو في نفسه عدم الرغبة في الإنتاج الصناعي والفني، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة، وتحرر العملاق من عقدة عجزه الفني والصناعي، أصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة، خطراً داهماً ينتهي به الغرب، وينتهي معه دوره القيادي في العالم».^{٢٥}

سابعاً: محاربة الإسلام السياسي، خشية أن تستطيع الحركات الإسلامية قيادة المسلمين نحو الانعتاق من التبعية للغرب، وإقامة الدولة الإسلامية:

يقول المستشرق البريطاني مونتجومري وات في جريدة التايمز اللندنية، في آذار من عام ١٩٦٨: «إذا وجد القائد المناسب، الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرةً أخرى».^{٢٦}

١ ويقول جب: «إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بصورة مذهلة، تدعو إلى الدهشة، فهي تنفجر انفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقبون

سادساً: القضاء على وحدة المسلمين، ومنع أسباب وحدتهم:

وذلك من خلال بث الأفكار القومية والوطنية وتمزيق المسلمين لبضع وخمسين دويلة، ثم من خلال إثارة النزعات الطائفية والمذهبية والفريقية وافتعال مشكل الأقليات.

١ يقول القس سيمون: «إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد التملص من السيطرة الأوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية».^{٢٧}

٢ ويقول المبشر لورنس براون: «إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير... يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير».^{٢٨}

٣ ويقول أرنولد توينبي في كتابه الإسلام والغرب والمستقبل: «صحيح أن الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ إذا سمع من ينادي بزعامة معادية للغرب، وقد يكون لهذا النداء نتائج نفسية لا حصر لها في إيقاظ الروح النضالية للإسلام، حتى لو أنها نامت نومة أهل الكهف، إذ يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصدقاء التاريخ البطولي للإسلام، وهناك مناسبتان تاريخيتان كان الإسلام فيهما رمز سمو المجتمع الشرقي في انتصاره على الدخيل الغربي، ففي عهد الخلفاء الراشدين حرر الإسلام سوريا ومصر من السيطرة اليونانية التي أثقلت كاهلها ألف عام تقريباً، وفي عهد نور الدين وصلاح الدين

٢٤ الإسلام والغرب والمستقبل، أرنولد توينبي - ص ٧٣.

٢٥ جند الله - ص ٢٢.

٢٦ الحلول المستوردة - د. يوسف القرضاوي ص ١١.

٢٧ كيف هُدمت الخلافة، عبد القديم زلوم - ص ١٩٠.

٢٨ جذور البلاء - عبد الله التل ص ٢٠٢.

٣ ويقول المفكر الأمريكي صموئيل هنتنجتون عن ذات الأهداف: «إننا نريد حرباً داخل الإسلام، حتى يقبل الإسلام الحداثة الغربية والعلمانية الغربية، والمبدأ المسيحي فصل الدين عن السياسة»^{٢٧}

٤ ويقول (زويمر) وهو من أكبر المستشرقين والمبشرين الإنجليز: «يهدف الغرب من خلال عمليات الغزو الفكري إلى إخراج أجيال مسلمة تكون هي طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية».

فهذه بعض معالم الهجمة على الإسلام، تتجسد في محاولة الغرب لتميع الإسلام وجعل الغرب مثلاً للفضيلة والتقدم، ومسح الحضارة الإسلامية بذوبانها في الحضارة الغربية «النسخة النهائية للحضارات البشرية» فلا ينهض المسلمون، ويبقى الغرب في مأمن من صحوه المارد الإسلامي!

لذلك كانت هذه المقالة محاولة لإبراز معالم هذا الصراع، حتى يتخذ المسلمون من الإسلام: نظام الإسلام (عقيدة وشريعة، ونظام حياة) أساساً للنهضة، وإعادة بناء دولتهم الإسلامية، وحضارتهم الإسلامية، ملتفتين حول الإسلام السياسي العامل لإنهاضهم على أساس الإسلام، حتى ينهض المسلمون به، ويصدوا بالدولة التي تطبقه هذه الهجمة الشرسة التي تريد استئصال شأفتهم. ■

من أماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة في أمرها، فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة، لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين جديد»^{٢٧}.

٢ قال بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل السابق: «إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد».

٣ وقال سالازار، ديكتاتور البرتغال السابق: «أخشى أن يظهر من بينهم رجل يوجه خلافاتهم إلينا».

ثامناً: إفساد المرأة، وإفساد نظام الأسرة وإشاعة الانحراف الجنسي.

تاسعاً: تغيير المناهج وخلق جيل من المسلمين العلمانيين:

١ يقول المستشرق الإنجليزي هاملتون جب عن مناهج التعليم الغربية في العالم الإسلامي: «لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدرسة العصرية أن يترك في المسلمين ولو من غير وعي منهم أثراً يجعلهم في مظهرهم العام لادينيين إلى حد بعيد».

٢ يقول الصحفي الأمريكي الصهيوني توماس فريدمان إبان الغزو الأمريكي لأفغانستان ٢٠٠١م: «إن الحرب الحقيقية في المنطقة الإسلامية هي في المدارس؛ ولذلك يجب أن نفرغ من حملتنا العسكرية ضد ابن لادن بسرعة ونخرج... وعندما نعود من أفغانستان يجب أن نكون مسلحين بالكتب لا بالدبابات. فقط عندما تنمو تربة جديدة وجيل جديد يقبل سياستنا كما يحب شطائرنا، سيكون لنا في المنطقة الإسلامية أصدقاء»^{٢٨}.

٢٩ الأصولية بين الغرب والإسلام د/ محمد عمارة.

٢٧ الاتجاهات الحديثة في الإسلام - ص ٣٦٥، (عن الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) ج ٢ - ص ٢٠٦

٢٨ الأصولية بين الغرب والإسلام د/ محمد عمارة.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۚ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٠٦﴾ (الأنفال). فما هي هذه الدعوة التي تحيا بها الأمة وتعيد لها مجدها وعزها من جديد كما كانت وكما أرادها الله سبحانه وتعالى ورسوله أن تكون خير أمة أخرجت للناس.

مجتمعه على البر والخير، حاكمًا يحكم بشرع الله يعدل بين الرعيّة ويحكم بالسويّة، ويسير المسلم في بلاد المسلمين من أدناها إلى أقصاها لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، مصداقًا لقول رسول الله ﷺ فيما يرويه البخاري: «وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ».

واستمرت الأمة تعيش في ظل حكم الإسلام وعقيدته بسلطانها وخليفتها الحارس للدين نيابة عنها، ينفذ الإسلام ويحملة ويحاسب الكفار وأعاونهم من المنافقين قرابة الثلاثة عشر قرنًا، حتى أسقطت على يد المجرم مصطفى كمال عام ١٩٢٤م؛ وبذلك ابتدأت عرى الإسلام تنتقض عروة عروة مصداقًا لقوله عليه الصلاة والسلام: عن أبي أمامة الباهلي عن النبي ﷺ أنه قال: «لَتُنْتَفِضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَفَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّتْ النَّاسُ بِأَلْتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهَا نَفْضُ الْحُكْمِ وَآخِرُهَا الصَّلَاةُ» رواه أحمد، وإن هذا الهدم ما كان ليكون لولا أن سبقته عوامل داخلية وخارجية. فالخارجية هي تكالب الأعداء الكفار عليها مجتمعين بقيادة

وهذه الخيرية تتأتى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وذلك بقيام الإسلام كله كمنهج حياة، كما بيّنه الرسول الكريم ﷺ متلمسًا خطواته من توجيه رب العالمين وأتباع ما يؤمر به وتنفيذه على الكيفية التي أنزل فيها القرآن الكريم بمنهجية الدعوة والتي بدأت بدعوة للفكر والتكتم عليه، ثم إعلانها وطلب للنصرة لتشكيل دولة وقيام أمة، ثم حمل لهذه الدعوة للبشرية جميعًا عن طريق الدعوة والجهاد لاعتناق هذه العقيدة وتنفيذها لما فيها من رحمة من رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء)، على أن لا يكره أحد على اعتناق عقيدة الإسلام، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٠﴾ (البقرة)، فخرج العرب ومن أسلم من الأمم الأخرى من ظلمات الجاهلية وضيق الدنيا إلى نور الإسلام وإنسانيته وسعة الدنيا والآخرة، وأصبح الإنسان عزيزًا في ظل حكم الإسلام، آمنًا في مجتمعه، حائرًا قوت يومه، متعاونًا مع

وتعالى لها من جديد من يدعو إلى تجديد أمر دينها مصداقاً لقول رسول الله ﷺ: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»، فمع بداية الخمسينات أعلن الشيخ العلامة تقي الدين النبهاني رحمه الله عن ولادة حزب سياسي مبدؤه الإسلام، هو حزب التحرير؛ ليعيد للأمة فهم دينها بالكيفية التي بيّنها رسول الهدى محمد ﷺ، من خلال دراسة الإسلام وسيرة المصطفى ﷺ دراسة فكرية تشريعية وليس دراسة تاريخية كما كانت عند الكثير من الدعاة والعاملين على نهضة الأمة، وتمثّلت هذه الدراسة بمتابعة أعمال الرسول الكريم ﷺ منذ بداية حياته واعتزاله عن الناس في غار حراء متأملاً ومفكراً في هذا الوجود، وما عليه الناس من عادات وتقاليد وعبادة للأصنام حتى اصطفاه رسولاً وأرسل إليه وحيه مجيباً عن كل تساؤلاته وما يدور في خاطره، فلقد كانت رعاية الله سبحانه وتعالى له قبل البعثة وتهيئته لحمل الأمانة حتى كان شامة في قومه في الخلق الكريم والتعالي عن سفاسف الأمور، كيف لا وقد لقبوه بالصادق الأمين.

وبعد نزول الوحي خرج الرسول الكريم ﷺ للناس يبلغهم أنه رسول الله ويدعوهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وترك ما يعبدون من دون الله، فأمن معه جماعة وصدّقوه، فتشكلت كتلة الإيمان، ومن هنا بدأت مراحل عمل هذه الكتلة في التغيير وهي:

رأس الكفر بريطانيا وإثارة القوميات والنعرات وقيام أحزاب على هذا الأساس بواسطة عملاء من بني جلدتنا. أما الداخلية فهي الضعف الفكري والفقهية الذي انتاب الدولة العثمانية في أواخر عهدها والجمود وعدم القدرة على إيجاد حلول لما يستجد من المشاكل، وطريقة معالجة شؤون الزراعة والصناعة والاستثمار وتوفير الخدمات لإشباع جوعات الإنسان ومتطلباته مقابل ما بات يعيشه الغرب في تلك الآونة من تطوّر في هذه الخدمات، فينعكس هذا كله على فكر الأمة وسلوكها.

ومنذ إسقاط دولة الخلافة والأمة تعيش حالة من التناقض بين المشاعر والأحاسيس فيما تعتقده وبين ما يطبّق عليها من أفكار ونظم، وما فرض عليها من حدود وتمزّق في فصلها عن بعضها، ودعوات ونعرات وطنية وقومية أنستها حياتها الإسلامية عن طريق حكام نصبهم الكافر المستعمر عليها لا يرون إلا مصلحة أسيادهم الكفار. ولما كان لا حياة للمسلمين إلا بالإسلام، انتقلت حياة المسلمين إلى الضنك وعادت إلى أيام الجاهلية بعد أن عاشوا عزّ الإسلام، وبهذا الوضع الجديد زاد ضياع فهم الإسلام وأفكاره مع تخبط الفتاوى والطروحات المدهانة والمهزومة والمنبطحة مما زاد الطين بلة، فازدادت الأمة ذلّة وأخذت تستغيث وتتألم مما تعانيه، وتبحث عن طريق الخلاص والنجاة مما هي فيه، وقد عجزت جميع دعوات النهضة من قومية، ووطنية، واشتراكية، ودينية مجتزأة وغير شاملة ومفصّلة إلى أن هيأ الله سبحانه

وهكذا أصبح المسلمون قوة متمثلة بكيان سياسي قادت المسلمين ليدخلوا في صراع مادي مع كيان قريش بالأعمال العسكرية والجهاد في سبيل الله ونزول آيات القتال التي تأمر بذلك، خلافاً للمراحل التي سبقت قيام الدولة والتي كانت مقتصرة على الصراع الفكري والكفاح السياسي، حتى حسم الصراع لصالح الرسول الكريم ﷺ وصحابته بعد صلح الحديبية والتي كان فتح مكة من نتائجها، وانتقل عليه الصلاة والسلام بحمل الإسلام إلى خارج مكة، وفي الوقت نفسه كانت أحكام الإسلام تنزل منجّمة على مدار عشر سنين فاكتملت شريعة الإسلام الشاملة لجميع نواحي الحياة بقوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]. وبعد وفاة الرسول الكريم ﷺ ظل الصحابة من بعده يحملون رسالة الإسلام، فسقطت فارس والروم وأصبحت الدولة الإسلامية الدولة الأولى بلا منازع.

هذا هو العمل الوحيد لنهضة المسلمين واستئناف الحياة الإسلامية والذي يجب أن نقوم به متأسين بسيرة المصطفى ﷺ لتعود لنا العزة في الدنيا ونوال رضوان الله في الآخرة ولا سبيل غيره. قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].

اللهم إنا نسالك عِزًّا في ظل خلافة راشدة على منهاج النبوة. ■

المرحلة الأولى: مرحلة التثقيف وترسيخ مفاهيم الإسلام عند حامل الدعوة، وقد كانت سرية في دار الأرقم بن أبي الأرقم، ودامت ثلاث سنوات، انصقل فيها الصحابة، وتشكلت الشخصية الإسلامية فيهم بشقيها العقلي والنفسي، والدليل على ذلك ما لاقوه من إيذاء وتعذيب على يد كفار قريش ولم يثنيهم كل هذا عن إيمانهم، وهذه المرحلة مهمة جداً في مجال الدعوة؛ لأن المرحلة الثانية تعتمد عليها وأي خلل فيها يُعيق الانتقال إلى المرحلة الأخرى.

المرحلة الثانية: مرحلة التفاعل، وهي مرحلة الصدع بالدعوة من الجماعة وإعلان الجماعة كقوة فكرية تعمل لتغيير الواقع بعد نزول قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94] والتي بها تحولت الجماعة إلى القيام بأعمال جديدة إضافة إلى أعمالها السابقة، فدخلت المجتمع متفاعلة مع الأمة بالصراع الفكري بضرب أفكار الجاهلية من عبادة الأصنام وواد البنات وغيرها، والكفاح السياسي بالتعرض لأئمة الكفر وتسفيه أحلامهم كابي جهل وأبي لهب والوليد بن المغيرة وغيرهم، وكان من أعمال هذه المرحلة في السنوات الثلاث الأخيرة منها أعمال طلب النصر من أصحاب القوة والمنعة المتمثلة بالعشائر وزعمائها لحماية الرسول ﷺ وتمكينه من الحكم برسالة ربه حتى تكلفت بنصرة الأوس والخزرج من أهل المدينة.

وهنا بدأت المرحلة الثالثة: وهي مرحلة استلام الحكم وتطبيق شرع الله وتنفيذ أحكامه،

بسم الله الرحمن الرحيم
حکم الرموز والأعلام في الاسلام (٢)

م. ناصر وحان اللهيبي - اليمن

لتصحيح المفاهيم، وإثبات المفهوم الذي يجب أن يتعامل به المسلمون هو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] وقد نهى الله عزَّ وجلَّ عن تحريف الكلام، وهو تغيير ألفاظه لتغيير معانيه لدي السامع، وكذلك تغيير مفهومه، قال تعالى: ﴿فَأَفْتَضَمُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥).

ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من قال: «مُطَرْنَا بَنَوْ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ» متفق عليه.

وفي ضبط الألفاظ فيما روته عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبِثَتْ نَفْسِي؛ وَلَكِنْ لِيَقُلْ: لَقَسْتُ نَفْسِي» متفق عليه. قال العلماء: معنى خبثت: غثت، وهو معنى لقسيت؛ ولكن كره لفظ «الخبث». وفي ضبط الكلام وتحديد مفهومه ما رواه أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «لَا تَسْمُوا الْعَنْبَ الْكَرْمَ، فَإِنَّ الْكَرْمَ الْمُسْلِمَ» متفق عليه. وهذا لفظ مسلم. وفي رواية: «فإنما الكرم قلب المؤمن». وفي رواية للبخاري ومسلم: «يقولون الكرم، إنما الكرم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنْ أَخْنَعَ اسْمٌ عِنْدَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ رَجُلٌ تَسْمِي مَلِكِ الْأَمْلاكِ» متفق عليه، قال سفيان بن عيينة «ملك الأملاك» مثل شاهنشاه. وحرَّم الإسلام ألفاظاً ونهى عنها كمخاطبة الفاسق ونحوه بسيدي؛ لأن صفات السيد غير صفات الفاسق، وكل اسم له صفاته، وليس السيد بالحسب والنسب، بل بالعمل والصفة. وعن بريدة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُولُوا لِلْمَنَافِقِ سَيِّدًا، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا؛ فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عِزًّا وَجَلًّا» رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وعن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ فِي إِثْرِ سَمَاءِ (مَطَرٍ) كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مَطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ

قلب المؤمن».

[١٦٢] فالأمر جلل، والعذاب واقع بالمسلمين إن هم قبلوا تغيير الألفاظ والمفاهيم والأفكار، كما أنزل الله العذاب على بني إسرائيل بسبب التغيير والتبديل، فقال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأعراف: ١٦٢]. وسمى الله هذا العمل بالفسق والظلم، وأنزل عليهم الرجز، وطبعًا هذه الأقوال مخالفة للعقيدة والأحكام الشرعية، والأمر الذي أمر الله به، وما أصاب المسلمين اليوم بسبب التغيير والتبديل الكثير من أنواع العذاب، ولن يرفع عنهم حتى يرجعوا إلى التقيد بنصوص دينهم ويأخذوها كما أنزل الله، وكما أراد الله تعالى، لا كما أرادت أهواءهم.

فعن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: عبدي أو أمتي، كلكم عباد الله، ونساؤكم إماء الله، ولكن ليقل: غلامي وجاريتي وفتاتي وفتاتي» متفق عليه. وعن طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحدكم عبدي فكلكم عبيد الله؛ ولكن ليقل: فتاتي. ولا يقل العبد ربي؛ ولكن ليقل: سيدي» رواه

إن الإسلام أعطى للكلمة أهمية عظيمة، ورتب على أساسها ثبوت أو عقوبة، وكذا رتب عليها أحكامًا لا بد من القيام بها؛ وإلا بطل الحكم أو العقد أو المعاملة، فمن لفظ الطلاق فقد طلقت زوجته، وهل طلقها واحدة أو اثنتين أو ثلاث؟ كل له حكمه. وكذا من لفظ لفظة الظهار (أنت علي كظهر أمي) فقد وجب عليه كفارة حتى تحل له زوجته. وإن قذف زوجته كان بينهما حكم اللعان كما في سورة النور، ويفرق بينهما القاضي إلى الأبد. وفي العقود إذا لفظ لفظ الإيجاب والقبول كقوله: زوجتك أو شاركتك... إلخ فقد وجب العقد، ولا يفسخ العقد الشرعي إلا سبب شرعي؛ لهذا حرم الإسلام تحريف الكلام عن مواضعه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة: ٥٨-٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٦١-٦٢]

مسلم.

في ذلك فقال: «كلكم عبيد الله» فنهى عن التطاول في الألفاظ كما نهى عن التطاول في الأفعال. وأما غلامي وجاريتي وفتاتي فليست دالة على الملك كدلالة عبدي، مع أنها تطلق على الحر والمملوك، وإنما هي للاختصاص. قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَلْهَىٰ عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَنَّهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [يوسف: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ لِمَ تَجْعَلُونَ لِكُلِّ ذِي مَالٍ مِمَّا يَتَّبِعُونَ الْأَقْدَامَ الْوَلَدَ الْأُنثَىٰ سَاءَ لَكُمْ تَسْوِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَعْتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يوسف: ٦٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴿٢٥﴾﴾ [النساء: ٢٥].

قال العلماء: مقصود الأحاديث شيان: أحدهما نهى المملوك أن يقول لسيده: ربي؛ لأن الربوبية إنما حقيقتها لله تعالى؛ لأن الرب هو المالك أو القائم بالشيء، ولا توجد حقيقة هذا إلا في الله تعالى. فإن قيل: فقد قال النبي ﷺ في أشراط الساعة: «أن تلد الأمة ربتها» أو ربهها» فالجواب من وجهين: أحدهما أن الحديث الثاني لبيان الجواز، وأن النهي في الأول للأدب وكرهة التنزيه، لا التحريم. والثاني أن المراد النهي عن الإكثار من استعمال هذه اللفظة واتخاذها عادة شائعة، ولم ينع عن

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يقولنَّ أحدكم إسقِ ربك، أو أطعم ربك، وضئ ربك. ولا يقل أحدكم: ربي، وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي، أمتي، وليقل: فتاتي، غلامي» متفق عليه.

فالألفاظ ومعانيها ضبطها الإسلام بحيث لا يتبادر إلى الذهن معاني أخرى مخالفة لمفاهيم العقيدة أو الأحكام الشرعية. فالعبودية والربوبية حقيقتها لله تعالى؛ لأن الرب هو المالك القائم بالشيء، ولا تكون إلا لله تعالى. ولا نهى في قول المملوك: سيدي لقوله رضي الله عنه «ليقل سيدي»؛ لأن لفظه السيد غير مختصة بالله تعالى اختصاص الرب، ولا مستعملة فيه كاستعمالها، وقد قال النبي ﷺ: «إن ابني هذا سيد» و «قوموا إلى سيديكم»، يعني سعد بن معاذ. وفي الحديث الآخر: «اسمعوا ما يقول سيديكم» يعني سعد بن عباد. فليس في قول العبد: سيدي إشكال ولا لبس؛ لأنه يستعمله غير العبد والأمة، ولا بأس أيضًا بقول العبد لسيده: مولاي، فإن المولى وقع على ستة عشر معنى توضح في موضوعها وبيانها، منها الناصر والمالك.

ويكره للسيد أن يقول لمملوكه: عبدي وأمّتي، بل يقول: غلامي وجاريتي، وفتاتي؛ لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى، ولأن فيها تعظيمًا بما لا يليق بال مخلوق استعماله لنفسه، وقد بين النبي ﷺ العلة

معيناً فيجب أن يكون المعاني التي يريدتها مطابقة تمام الانطباق لمعنى ذلك الاصطلاح، وعند ذلك لا مشاحة في الاصطلاح». ويتابع القول: «أما إذا أراد فقيه معاني خاصة، فلا يجوز له أن يستعمل اصطلاحاً له معنى متفق عليه وهو يناقض ما أراد من المعاني؛ لذا فلكل اصطلاح معنى متفق عليه، وهنا تكون المشاحة في استعمال الاصطلاح».

ويقول القاضي العلامة تقي الدين النبهاني في كتاب (نظام الإسلام): «إن الألفاظ الأجنبية التي لها معانٍ اصطلاحية، إن كان اصطلاحها يخالف اصطلاح المسلمين لا يجوز استعمالها، مثل كلمة العدالة الاجتماعية؛ فإنها تعني نظاماً معيناً يتلخص في ضمان التعليم والتطبيب للفقراء، وضمن حقوق العمال والموظفين؛ فإن هذا الاصطلاح يخالف اصطلاح المسلمين؛ لان العدل عند المسلمين هو ضد الظلم، وأما ضمان التعليم والتطبيب فهو لجميع الناس أغنياء وفقراء، وضمن حقوق المحتاج والضعيف حق لجميع الناس الذين يحملون التبعية الإسلامية، سواء أكانوا موظفين أم لم يكونوا، أو كانوا عمالاً أم مزارعين أم غيرهم. أما إن كانت الكلمة تعني اصطلاحاً موجوداً معناه عند المسلمين فيجوز استعمالها، مثل كلمة ضريبة، فإنها تعني المال الذي يؤخذ من الناس لإدارة الدولة، ويوجد لدى المسلمين مال تأخذه الدولة لإدارة المسلمين، وكذلك كلمتي دستور وقانون، فيجوز أخذهما فإنها تعني تبني

إطلاقها في نادر من الأحوال. واختار القاضي هذا الجواب. والظاهر أن المراد بالنهي من استعماله على جهة التعظيم والارتفاع، لا للوصف والتعريف.

ولما كانت المصطلحات كثيرة لا تعد ولا تحصى ومستمرة في الحياة كان لابد من إيجاد قاعدة ثابتة، يبنى عليها كل اصطلاح، أو كان لا بد من ميزان يوازن كل اصطلاح جديد عليه.

نقول: إن كل لفظ يحمل اصطلاحاً موجوداً معناه في الإسلام، فلا مانع شرعاً من جواز استعماله بذكره أو بالدعوة إليه، أما إذا كان الاصطلاح يخالف معناه ما في الإسلام من معانٍ فلا يجوز ذكره على سبيل الدعوة إليه، وإن قُيد بوصف إسلامي له؛ لأنه تعبير وضع بالأصل لفكر معين، أو لنظام خاص عرف به أصحابه وحملته.

يقول الأستاذ المبارك، عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق، في مجلة حضارة الإسلام، العدد ٦، ص: ٩٠، سنة ١٩٦٢م: «إن لكل فقيه أن يصطلح على استعمال الألفاظ التي يراها للمعنى الصحيح المتفق عليه ولا مشاحة في الاصطلاح ابتداءً، ولكن هناك مشاحة في أخذ المصطلحات التي تخالف مفاهيم الإسلام».

ويقول الشيخ الشهيد، عبدالعزيز البدري، في كتابه (حكم الإسلام في الاشتراكية) ص: ١٢٦: «أقول المعنى الصحيح المتفق عليه الذي يعبر عنه بلفظ معين يكون اصطلاحاً لذلك المعنى، فإذا أراد فقيه أن يستعمل اصطلاحاً

تتأخر فيها من ابتدئها من المتأخرين، مثل لفظ «الجسم» و«الجوهر» و«المتحيز» و«الجهة» ونحو ذلك؛ فلا تُطلق نفيًا ولا إثباتًا حتى يُنظر في مقصود قائلها، فإن كان قد أراد بالنفي والإثبات معنى صحيحًا موافقًا لما أُخبر به الرسول، صوّب المعنى الذي قصد به بلفظه، ولكن ينبغي أن يُعبر عنه بالألفاظ النصوص، لا يُعدّل إلى هذه الألفاظ المبتدعة المجمّلة إلا عند الحاجة، مع قرائن تبيّن المراد بها والحاجة، مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، وأمّا إن أُريد بها معنى باطل، نُفي ذلك المعنى، وإن جُمع بين حقّ وباطل، أُثبت الحقّ وأبطل الباطل» (منهاج السنّة: ٥٥٤/٢).

يقول الإمام الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَكُ الْمُسْلِمِينَ...﴾ يدل على إثبات الأسماء الشرعية، وأنها من قبل الله تعالى؛ لأنها لو كانت لغة لما أُضيفت إلى الله تعالى على وجه الخصوص. (التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي - المجلد الثامن - تفسير سورة الحج - دار إحياء التراث العربي- بيروت - لبنان).

ومن أهم أمثلة ذلك وصف (المهاجرين والأنصار) فهي أوصاف شرعية صحيحة؛ لكن لما استعملت في سياق عصبية لغير الحق، سمّاها النبي دعوى الجاهلية! كما في صحيح مسلم عن جابر قال: (كنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في غزاة، فكسع رجلٌ من

الدولة لأحكام معينة تعلنها للناس، وتلزمهم العمل بها، وإن كان هناك فرق بين الدستور الإسلامي والدستور العلماني، فدستور الإسلام يتبناه رئيس الدولة بقوة الدليل من الكتاب والسنة المطهرة، والدستور العلماني يتبناه الشعب. فالسيادة للشعب، والشعب مصدر السلطات، وفي الدستور الإسلامي الحاكمية لله والسيادة لشرعه والسلطان للأمة».

الأصل في المعاني الشرعية هو استعمال لسان الشرع في العبارة عنها، وعدم الخروج عنه. يقول ابن تيمية: «والتعبير عن حقائق الإيمان بعبارة القرآن، أولى من التعبير عنها بغيرها؛ فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي تنزيلٌ من حكيم حميد، والأمة متفكّة عليها، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تُفهم، وفيها من الحكم والمعاني ما لا تنقضي عجائبه، والألفاظ المحدثّة فيها إجمالٌ واشتباهٌ ونزاعٌ، ثمّ قد يُجعل اللفظ حجةً بمجردِه، وليس هو قولُ الرسولِ الصادقِ المصدوقِ، وقد يُضربُ في معناه، وهذا أمرٌ يعرفُه من جرّبه من كلام الناس. فالاعتصامُ بحبلِ الله يكونُ بالاعتصامِ بالقرآنِ والإسلامِ... ومثى ذكّرت ألفاظُ القرآنِ والحديثِ، وبيّن معناها بيانًا شافيًا، فإنّها تنتظمُ جميعَ ما يقوله الناسُ من المعاني الصحيحة، وفيها زياداتٌ عظيمةٌ لا توجدُ في كلامِ الناسِ، وهي محفوظةٌ مما دخلَ في كلامِ الناسِ من الباطلِ». (النبوات: ٨٧٨/٢).

ويقول ابن تيمية أيضًا: «الألفاظُ التي

على تنفيذها فهو آثم إثمًا عظيمًا، ومتكبر ومتجبر على الله تعالى وشرعه، ويجب رده وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، والتغيير عليه بالقول والعمل، وإن هذه المصطلحات والمفاهيم لن تزيدنا إلا معيشة ضنكًا وفقيرًا وتعاسة!!؛ ولهذا فمصطلح (الوطنية) الذي يعطي الحقوق والواجبات لفئة من الناس، ويعين الولاء والبراء بناء على تلك العصبية الوطنية، ويميز البشر بناء على مكان المولد، وليس على أساس الصفات، ويمجد الكيانات المرسومة من الاستعمار، ويجعل الأرض هي الحاكمة وليس العقيدة؛ فلا يجوز أخذه أو تطبيقه أو الدعوة إليه.

فمدلول ومضمون ومفهوم اصطلاح (الوطنية) هو ارتباط الإنسان بالإنسان على أساس الوطن (الكيان السياسي المصنوع من الاستعمار) وهذا الوطن المرسوم ببول الكلاب هو أساس العلاقة بين الناس، وعليه فإن الوطنية هي أساس الأخوة والتكتلات والأحزاب، وأساس الشخصية والثقافة والعمل والفكر والدافع والعصبية، وأساس ما يسمونه بالدولة الوطنية، وهذا المصطلح مخالف لمفاهيم الإسلام ومعانيه، وكذلك الأعلام والرايات والرموز التي تخالف قاعدة الاصطلاح في الإسلام كالأعلام الوطنية لا يجوز تبنيها أو رفعها أو تقديسها أو القتال تحت رايتها. ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ۖ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ابراهيم: ٥٢]. ■

المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري «يا للأنصار»، وقال المهاجري «يا للمهاجرين». فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «ما بال دعوى الجاهلية». قالوا يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال صلى الله عليه وسلم «دعوها فإنها منتنة» صحيح مسلم. فإذا كان هذا في وصف شرعي صحيح سماهم القرآن به كما قال تعالى ﴿وَالسَّبِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧]. ومع ذلك لما صار راية عصبية لغير الحق سمّاه النبي (دعوى الجاهلية) ! فكيف بالله عليكم في راية (الإنسانية) وراية (الوطنية) التي يراد تزوير الحواجز العقديّة فيها، ومساواة المسلم بالكافر، ومساواة المسلم بالعلماني، في كافة الحقوق، ومنها حق الدعوة والنشر، فالمسلم والكافر، كلهم لهم الحق في نشر ما يشاؤون، فأى مساواة بين الحق والباطل أفضح من هذا؟!؛

ولهذا ما ورد من مصطلحات مخالفة للإسلام كالوطنية، والقومية، والديمقراطية، والمدنية، والجمهورية، والاتحادية، والاقتصاد الحر، والحريات، والحقوق غير الشرعية، كحرية التملك، وحرية الرأي، وحرية الاعتقاد، والحرية الشخصية، وغيرها الكثير من المفاهيم الغربية لا يجوز أخذها، ولا تطبيقها، ولا تنفيذها، ولا الدعوة إليها، ومن قام بتطبيقها أو إجبار الناس

دور الاستعمار في إثارة التّعرات العرقية الانفصاليّة في العالم الإسلاميّ (١) (التّعة الأمازيغيّة البربريّة نموذجًا)

الأستاذ بسّام فرحات

لطالما مثّلت مسألة الأقليات أخطر معاول الهدم التي ساهمت في تقويض صرح الدّولة العثمانيّة؛ فهذه الأخيرة وبحكم امتدادها على ثلاث قارّات (آسيا - أفريقيا - أوروبا) ضمّت العديد من الأعراق والإثنيّات والمجموعات الدينيّة والمذهبيّة واللغويّة بما ساهم في إثراء مشهدها الاجتماعي والثقافي والسياسي... إلّا أنّ الغرب الاستعماريّ حول هذا المعطى الإيجابي من عامل قوّة وتنوّع وثناء إلى عامل ضعف واحتراب وانحلال لضرب الدّولة الإسلاميّة وتفتيتها والقضاء عليها، فعمل جاهدًا على قولة الرّصيد البشري والثقافي للأمة في كتونات وغيتوات متناقضة وتقسيمه إلى ثنائيّات نمطيّة متنافرة حدّ الشّطط قبل الرّجّ به في أتون صراع عرقيّ إثنيّ يكرّس التّمزيق والتّفطيت ويساعده في إحكام قبضته على المنطقة، وبذل مجهودات جبّارة لتركيز مفهوم مسموم للأقليات بوصفهم مجموعات بشريّة مضطهدة وإثارته كقضيّة إنسانيّة، كما قام بتبنيّ بعض الأقليات ثقافيًا وسياسيًا وعسكريًا وحرّضها على التمرد والخروج على الدّولة العثمانيّة لإضعافها وتفكيكها...

المتربّص بها بمبرّرات قويّة للتأثير في شأنها الداخليّ، والدّفع به نحو مزيد من التبعية والتّمزيق والإضعاف والاستنزاف (والفتنة أشدّ من القتل)... هذه البذرة الخبيثة التي زُرعت منذ الفترة الاستعماريّة بدأت منذ تسعينات القرن المنصرم في طرح ثمارها المسمومة في تزامن مريب مع الصّحوة الإسلاميّة وإشراف استعماريّ مكشوف؛ حيث أُدرجت اللغة البربريّة في مناهج التّدريس، وتُرجمت معاني القرآن الكريم إليها، وحُصّصت الفضائيّات والإذاعات للناطقين بها، كما اكتسحت الأحزاب السياسيّة القائمة على أساس القوميّة الأمازيغيّة الأوساط السياسيّة المغاربيّة بما زاد طين تعفّنها وارتهانها بلّة، وقد انخرطت في هزّ استقرار المنطقة متسلّحة بترسانة من البحوث (التاريخيّة والأركيولوجيّة: أي

وحثّى بعد قضائها على الخلافة وتمزيقها للعالم الإسلاميّ لم تتوقّف الدّول الاستعماريّة عن إثارة التّعرات العرقية والدينيّة واللغويّة، بل أخذت بتغذيتها وتركيزها استعدادًا لمرحلة ما بعد الاستعمار (الاستقلال الصّوريّ) بحيث حرصت في رسم حدود الدويلات القوميّة والوطنيّة الوليدة على جعل عامل الأقليات سببًا مؤلّدًا للمتاعب والقلقل وبابًا مشرّعًا للاقتتال والاحتراب بما يُفضي إلى ديمومة التدخّل في شؤون هذه الدّول والسّيطرة عليها والتحكّم في مقدّراتها وسيادتها وقرارها السياسيّ... بيد أنّ النّسخة المغاربيّة لهذا المخطّط الاستعماريّ الخبيث تمثّلت في النفخ في رماد التّعة الأمازيغيّة البربريّة المنطفئة منذ القرن الثّامن للميلاد بما قد يفتح المنطقة على فتنة حمراء دمويّة تزوّد الكافر المستعمر

عن غريزة البقاء بالدفاع عن النفس، تلقّف البربر الإسلام واحتضنوه لغة وعقيدة وثقافة وحضارة، وفتحوا له صدورهم وقلوبهم وسخروا له سيوفهم ودماءهم وأرواحهم وأموالهم... وبقدوم موسى بن نصير (٩٠هـ) حسن إسلامهم وأسقطت عنهم الجزية وأصبحوا جزءاً عزيزاً من الأمة الإسلامية، وانصهروا في بوتقة العقيدة الإسلامية العظيمة التي هضمت من قبل وثنية العرب وزندقة الفرس وهرطقة الروم والقبط وما هزلت ولا صدت.. وإن هزيمة البربر العسكرية أمام الفاتحين لا تفسّر إقبالهم على اعتناق الإسلام وتلبّسهم به وذوبانهم فيه، فقد هزمهم من قبل الفراعنة والقرطاجيون والرومان والبيزنطيون والقوط؛ ولكنهم ظلّوا مع ذلك محافظين على كياناتهم وديانتهم وتميّزهم؛ ولكنّها العقيدة الإسلامية في سموّها وقوّتها ومطابقتها للفطرة البشرية وقدرتها الفائقة على طحن الفوارق العرقية والإثنية واللغوية... ولئن عمّ الإسلام جميع البربر، فإنّ التعريب اللسانيّ تعرّث وتباطأ واستثنى سكّان المناطق المعزولة المنيعة الذين تحصّنوا بها، وحالت تضاريسهم الوعرة دون اختلاطهم بالعرب الفاتحين، فالحاصل والثابت أنّ العنصر البربريّ هو العمود الفقريّ لسكّان شمال أفريقيا - إن لم يكن ذلك عرفاً ودماً فنسباً ومصاهرةً - وإنّ التصنيف الثنائيّ النمطيّ القائم على جنسين (عرب/بربر) الذي أرادته فرنسا قالباً جاهزاً للفتنة والصّراع ما هو في الواقع إلاّ ثنائية من داخل الجنس البربريّ نفسه (بربر ناطقون بالعربية/بربر ناطقون بالأمازيغية)... وما هي

علم الآثار الذي يعنى بالكشف عن مخلفات الماضي التي تعكس تطور الحياة البشرية، والأنثروبولوجية: أي دراسة جوانب الإنسان في المجتمعات السابقة والحالية) التي تدّعي لنفسها المصدقية العلمية فيما هي تنهل واقعاً من مخيلة الاستعمار الجذباء في شكل أساطير حولها البهرج الأكاديميّ المزيّف والماترا كاج الإعلاميّ المضللّ إلى حقائق تستند إليها التّعرة الأمازيغية البربرية في تأسيس مشروعها الانفصاليّ على أرض الواقع المغاربيّ.

بذرة فرنسيّة مسمومة

لعلّه من فضول القول التأكيد على أنّ التّعرة الأمازيغية البربرية من ألفها إلى يائها ما هي إلاّ إفراز استعماريّ وافد مسقط مفتعل لا عهد للمنطقة المغاربية به قبل استحواذ القوّات الفرنسيّة عليها أواسط القرن ١٩م، فقبل هذا التاريخ لم يكن البربر أنفسهم واعين بأنّهم ينتمون إلى جنس آخر غير العرب، فهذا المعطى هو ثمرة أبحاث أكاديمية تاريخية وأركيولوجية وأنثروبولوجية بعيدة عن متناول سواد النّاس أثارها المدرسة التاريخيّة الفرنسيّة خدمة للاستعمار وأهدافه التوسّعية، ولا يمكن لأيّ باحث جادّ ونزيه أن يزعم أنّ البربر، منذ نهاية القرن ٠٨ الميلادي إلى حدود النّصف الأوّل من القرن ٢٠م، قد أبدوا رغبة في التميّز عن العرب أو عبّروا عن تبرّمهم منهم أو أظهروا بوادر للثورة عليهم أو استشعروا في أنفسهم كياناً سياسياً وثقافياً مختلفاً عنهم... فبعد صدمة الفتح من (٢٧هـ) إلى (٥٠هـ) - وهي ردّة فعل طبيعيّة ناشئة

سنة ١٨٣٠م تاريخ تديس الجيوش الفرنسيّة لأرض الجزائر... ولو كانت التّعرة البربريّة حيّة حينها لاستغلّتها فرنسا في احتلالها للبلاذ؛ ولكنّ شيئاً من ذلك لم يقع، بل على العكس يذكر التاريخ أنّ من صُنّفوا بربراً فيما بعد هم الذين تصدّوا للاستعمار الفرنسيّ عند دخوله وقاموه لأجيال ورفعوا في وجهه راية العروبة والإسلام وأجبروه على المغادرة خاسئاً وهو حسير.

العلم في خدمة الاستعمار: المسألة البربريّة
أما كيف نجحت في تكريس النعرة الأمازيغيّة البربريّة وبعثها من أحداث المتاحف وكتب التاريخ وجعلها حقيقة ميدانيّة وواقعاً معاشاً، فإنّ فرنسا وما أن استقرّ بها المقام في شمال أفريقيا حتّى اتّبعت سياسة خاصّة تجاه البربر أسمتها (المسألة البربريّة) سعت من خلالها في مرحلة أولى إلى إحداث شرخ في التركيبة السكانيّة وزرع بذور التفرقة والتفتيت بين مكوّناتها وتحطيم وحدتهم وانسجامهم وبثّ روح الطائفية والعرقية بينهم وتقسيمهم إلى جنسين مختلفين متعادين متناحرين (عرب/بربر) نزولاً عند القاعدة الاستعماريّة الذهبيّة (فرّق تسد).. ثمّ في مرحلة ثانية تهميش العرب وإقصائهم ومحاربتهم في مقابل التّفخ في صورة البربر - حجماً ودوراً - ونحت ملامح هويّة بربريّة أمازيغيّة - لغةً وعقيدةً وثقافةً، وتعميمها على المنطقة برمّتها في إطار حربها الصليبيّة على الإسلام والمسلمين... ولتحقيق ذلك سارت السّلطات الاستعماريّة الفرنسيّة في خطوتين متوازيتين متكاملتين:

إلاً أربعة عقود عن الفتح حتّى تحوّل مشعل نشر الإسلام من العرب إلى البربر: ففتح الأندلس (٩٢هـ/٧١١م) يُعدّ بامتياز إنجازاً بربرياً صرفاً قيادةً وجيشاً، كما استحال شمال أفريقيا على أيديهم منارة إسلاميّة تشعّ بنورها على الصّحراء الأفريقيّة وجنوب أوروبا (القيروان - الزيتونة - القرويّين...) وقلعة متقدّمة للإسلام السنّي المالكيّ الخالص، ومنجماً عدداً لجلّة العلماء والقادة المجاهدين (أسد ابن الفرات - الإمام سحنون - يوسف بن تاشفين - ابن خلدون - ابن منظور...) وسداً منيعاً أمام المطامع الاستعماريّة المختلفة (الصليبيّين - النورمان - الوندال - الإسبان - البرتغاليّين...) لقد كانت بلاد البربر قبل الفتح الإسلاميّ وعلى امتداد تاريخها القديم مطمع الحضارات وحمار الشعوب القصير ومنجماً للمرتزقة والجواري والعبيد ومطمورة لقرطاج وروما وبيزنطا... وما إن نُفخت روح الإسلام الزكيّة في الجسد البربريّ المتهاك كما نُفخت من قبل في الجثّة الجاهليّة حتّى كان الدّفح الحضاريّ من ذيل الأمم إلى سنامها والتحوّل الجذريّ من الضعف والموت والانحطاط والتخلّف إلى القوّة والحياة والعزّة والريادة والرقيّ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] - وتواصل حال المنطقة على ما هي عليه ١٣ قرناً - جزءاً عزيزاً من أرض الإسلام ومكوّناً عضويّاً من مكوّنات الأمة الإسلاميّة لا تكدر صفاءه ونقاءه هرطقة أو نعرة شوفيّية منتنة - إلى حدود

حقائقه وتحريف ثوابته، وضخّموا كلّ تحرّك للبربر وعدّوه (ثورة ذات منزع قوميّ بربريّ معاد للعرب والمسلمين) وأسقطوا تفاسيرهم وقراءاتهم الفجّة على تمرّد كسيلة والكاهنة والخوارج حتّى إنهم جعلوا من تحريف بسيط ناشئ عن سوء فهم لتعاليم الإسلام (ديانة برغواطية).. لقد مثل علم الأنثروبولوجيا والكشوف الأثرية أداة في يد السلطات الاستعمارية لدمج المغرب العربيّ فيها عن طريق ربط شعبه وثقافته وماضيه بفرنسا - ما أمكن لهم ذلك - وبأوروبا إذا تعدّر عليهم (وذلك أضعف الإيمان) وكان الولاة والجنرالات والمقيمون العامّون الفرنسيّون يتابعون شخصياً نتائج البحوث والحفريات، كما أنّ مصلحة الآثار كانت ملحقة مباشرة بالدّاخلية ومرتبطة بالأمن القوميّ الفرنسيّ... وقد كرّست المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية قناعات ومسلّمات نافية بشكل مسبق أيّ إمكانية بحث في قضايا شمال أفريقيا في إطار العلاقة مع الشّرق، حتّى إنّ تاريخ المنطقة وما يتعلّق بالبربر وأصولهم ولغتهم وكتابتهم وثقافتهم لا يُنظر إليه إلاّ في إطار العلاقة مع أوروبا. أمّا العلاقة مع الشّرق فمرفوضة ابتداء... ولم تتورّع هذه (المدرسة) في سبيل ذلك عن التّضليل والانتقائية والطّمس والتّشويه وإخفاء المعلومات وتزويرها وإقصاء أبحاث واختلاق نظريّات وإضافة معطيات بما يجيز لنا أن نتحدّث عن (أساطير مؤسّسة للتّعرة الأمازيغيّة البربرية).

أسطورة الأصل الأوروبي :

الخطوة الأولى: عمليّة ميدانية: فقد فرنست لسان المجتمع المغاربيّ، وأذكت حركة التّبشير، وغذّت الفتنه بين المالكيّة والإباضيّة، وشنت حرباً شعواءً على الثقافة الإسلاميّة، فمعتت تداولها، وحظرت تلقّيها ونشرها، وأغلقت مؤسّساتها، وجفّفت منابعها، ونكّلت بأعلامها ورجالها وحملتها، حتّى إنّها سنّت قانوناً يقضي بإعدام كلّ من يُدلي إلى السّطات بوثيقة مكتوبة بالعربيّة (نعم)...وفي محاولة وقحة لاستنساخ أندلس جديدة، استصدرت سنة ١٩٢٩م مرسوم (الظّهير البربريّ) الذي يقضي بفصل المناطق البربرية في المغرب الأقصى وعزلها عن محيطها العربيّ، وإغلاق المحاكم الشّرعية فيها وفرض القوانين العرقية عليها لطمس عروبتها وإسلامها كمحطّة نحو فرنستها وتنصيرها...

أمّا الخطوة الثانية، فنظرية: وقد رامت من ورائها توظيف العلم في خدمة أغراضها الاستعمارية وشرعنة افتراءاتها وأعمالها الإجرامية في حقّ شعوب المنطقة بإخراجها في ثوب (البحوث العلميّة التاريخية والأركيولوجية والأنثروبولوجية) الموثّقة الثّابتة المطابقة للواقع المغاربيّ المعاش... فاستعانت بطاقم من أقطاب علمائها وآثاريّها (لويس رين - دولافوس - بالو - روني باسي - مويي - مارسال - كوهين - ستيفان قرال - شارل أندريه جوليان - جورج مارسي...) وجعلت منهم نواة للمدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسيّة... فاستحدثوا (علم البربريات) وأسّسوا (أكاديميّة البربر) في باريس منبراً لتشويه تاريخ المنطقة وطمس

فيها جميعها وبينوا تهاافتها، لاسيّما وأنها قائمة أساساً على فرضية مستحيلة تتمثل في إمكانية الملاحة البحرية بين ضفتي المتوسط والتي لم تكن متاحة قبل العصر الحجري الحديث... كما أنّ البحوث الجينية واللغوية المقارنة لم تصدّقها بل جاءت متعارضة معها؛ ممّا اضطرّ (الدكتور فالو) رئيس البعثة الأثرية للاعتراف في تقريره الرسمي إلى والي الجزائر العام سنة ١٩٤٩م (بعد واقعية إدماج المغرب العربي بأوروبا نهائياً)... وبسقوط هذه النظرية الفجة تهاوى الحلم الاستعماريّ بدمج المنطقة المغاربية في الكيان الفرنسيّ وبتراها عن جسمها المشرقيّ... إلا أنّ المدرسة التاريخية الاستعمارية لم تياسّ وارتمت مرغمة مكرهة في أحضان النظرية الأنثروبولوجية القاضية بأنّ البربر يتحدّرون من سلالات ما قبل التاريخ المحليّة بالمنطقة على غرار الحضارة العاترية والحضارة الموستيرية والحضارة القفصية والوهرانية... وقد رُوّجت لها بكثافة في محاولة منها لتدجين البربر وجعلهم أهليّين محليّين بعد أن تعدّرت أوربتهم، الأمر الذي يضمن هو الآخر عزلهم عن عمقهم العربيّ الإسلاميّ، ونفي أيّ صلة لهم بالمشرق... وقد ركبت في سبيل ذلك وبكلّ وقاحة كلّ المحظورات من قبيل إقصاء أبحاث وإخفاء معلومات وتوحيّ أسلوب انتقائيّ طامس للحقائق مشوّه لها. فلإخضاع المغرب العربيّ إلى منطلق هذه النظرية أقصت المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية ليبيا من دراستها وعزلتها عن باقي المنطقة وصمّمت عن نتائج أبحاث ما قبل

إنّ السّؤال المركزيّ الذي تتأسّس حوله الإشكالية يتعلّق بأصل البربر، إذ على ضوء الإجابة عنه يمكن إمّا ترسيخ البربر في فضائهم الحضاريّ العربيّ الإسلاميّ أو فصلهم عنه وربطهم بأوروبا وإدماجهم بفرنسا وبالتالي شرعنة استعمارهم... لقد أجمع النّسابة العرب من مختلف الطبقات والأجيال حول الأصل المشرقيّ العربيّ للبربر والرّبط بينهم وبين قبائل بني مازيغ وبني صنهاج التي انتقلت من جزيرة العرب إلى بلاد المغرب منذ الألف العاشرة قبل الميلاد... كما أجمع النّسابة البربر أنفسهم من صاحب الحمار إلى حسن الوزان على انتماء البربر إلى العرق العربيّ إمّا عبر مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح (بالنسبة لفرع البرانس) أو عبر قيس عيلان المضريّ العدنانيّ (بالنسبة لفرع البتر) أو عبر حمير (بالنسبة للطوارق)... وبصرف النّظر عن المصادقية العلمية لهذا الإجماع، ومدى حجّيته ومطابقتها للحفريات الأثرية والأبحاث الأركيولوجية والأنثروبولوجية، فإنّ المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية أقصت هذا الاحتمال بشكل مسبق ونفته ابتداءً، وخاضت أبحاثها بهذه الخلفية المغرضة في إطار مخطّطها الهادف إلى عزل البربر عن محيطهم الشرقيّ وحشرهم قسراً في محيطها الغربيّ لاستيعابهم وتذويهم فيها؛ فقد رُوّجت لنظريات متعدّدة تلوي عنق الحقيقة وتحقّق لها غايتها مثل نظرية الأصل الأوروبي للبربر، أو نظرية الأصل الحامي، أو نظرية جنس البحر الأبيض المتوسط... وقد طعن الباحثون النّزهاء

سمات جينية ومميزات ثقافية وحضارية مشتركة تميّزه عن سائر الشّعوب وترقى به إلى مستوى الأمة ذات الحضارة العريقة، وطفقت تروّج لمقولات من قبيل (اللّوبيون هم سكّان شمال أفريقيا الأصليون - الشّعب البربري - الحضارة البربرية - الأمة البربرية..). قبل أن يستقرّ بها الاصطلاح عند (الشّعب الأمازيغي - أمازيغ العالم - الحضارة الأمازيغية...) وهو كلام إنشائيّ يفتقد لأدنى مصداقية علمية مسوق على عواهنه تحت ضغط هواجس الاستعمار الانقسامية يُكذّبه الواقع ويفنّده البحث العلميّ التّزيه... فالثّابت تاريخياً أنّ مصطلح (بربر) صفة مشحونة بمعاني الاستنفاص والاستهجان تفيد معنى الهمجية والتوحّش والتخلّف، أطلقه الإغريق والرّومان وقصدوا به مجموعات بشرية تقطن شمال أفريقيا من غرب النّيل إلى المحيط الأطلسيّ ومن المتوسّط إلى تخوم الصّحراء، وهو متّسع جغرافيّ استوعب العديد من الشّعوب والقبائل المختلفة عرقياً وإثنيّاً... كما أنّ مصطلح (أمازيغ) الذي يعني (الرجل الحرّ التّيبيل) والذي أشاعه أصحاب النّزعة البربرية في أدبيّاتهم وعمّموه على كامل سكّان شمال أفريقيا فإنّه ليس علماً على كلّ البربر، بل هو اسم لقبيلة كبرى من قبائلهم اتّصفت بتلك الصّفة، وقد عمّم هذا الاسم من باب تسمية الشّيء بأبرز ما فيه، كما عمّم الإسبان اسم قبيلة (المور) على سائر البربر ثمّ على مسلميّ الأندلس (الموريسكيّون)... فالبربر شعوب وقبائل متعدّدة منحدرّة من إثنيّات وثقافات مختلفة، وإنّ الادّعاء بتجانسها

التّاريخ فيها لا شيء إلاّ لأثّها ممرّ وعنصر ربط، فمواقعها التاريخيّة تثبت سيرورة الانتشار الجغرافيّ ومساره التاريخيّ من الشّرق نحو الغرب، وتؤكّد بالتّالي التّواصل الحضاريّ والبشريّ بين المشرق والمغرب عبر تشابه الصّناعات الحجريّة والمنحوتات والأساليب الفنيّة وانتقال النّشاطات الزراعيّة والفلاحيّة... كما غيّبت المعلومات المتوفّرة عن الحضارات الوهرانيّة والموسستيريّة والعاتريّة التي تثبت أنّ أصحابها مجموعات مهاجرة من الشّرق... وتعمّدت إخفاء نتائج الحفريات المتعلّقة بالإنسان القفصيّ التي تربطه مباشرة بنماذج بشريّة من آسيا الغربيّة؛ ممّا يؤكّد أنّ ما اعتبرته هذه المدرسة الاستعماريّة (حضارات محليّة) ما هو إلاّ أجناس طارئة على المنطقة المغاربيّة وعنصر مهاجرة - من الشّرق تحديداً - حاملة معها مكتسباتها الفلاحيّة والرعوويّة، ناهيك وأنّ شمال أفريقيا خالٍ من أصول نباتات الحبوب والحيوانات المدجّنة في شكلها البرّي بما ينفي قطعاً أصالة تلك النّشاطات ويثبت يقيناً استقدامها من خارجه... فالنظريّة الأنثروبولوجيّة التي تشبّث الاستعمار بتلابيبها أوهن من بيت العنكبوت لا تصمد أمام النّقاش العلميّ الموثّق، ولا يمكن أن تطمس أصالة البربر الشريقيّة وأرومتهم العربيّة القديمة.

أسطورة التّجانس العرقيّ

حفاظاً منها على المنطق الدّاخلّي للنظريّة الأنثروبولوجيّة ادّعت المدرسة التاريخيّة الاستعماريّة أنّ البربر مجموعة عرقية وإثنيّة متجانسة وشعب موحدّ تجمع بين أفرادها

ومتنوّعة مختلفة من حيث سحتها وسماتها الخلقية وبنيتها الهيكلية ومعتقداتها وعاداتها وتقاليدها تؤثت الفضاء المغاربي وتشغل مناطق مختلفة فيه (الأمازيغ - التحو - الليبو - المشواش - القهق - السبد - الأست - القايقش - الشيت - الهسا - البقن - الكيكش - المور - جدالة...) ومما يؤكّد هذه المعلومات أنّ النماذج الحالية المعاصرة للبربر تعكسها بأمانة، فيمكن أن نلاحظ اليوم بكلّ يسر خمس مجموعات عرقية بربرية متباينة في مظهرها: المجموعة الأولى متميزة بطول القامة والشعر الأشقر والعيون الملونة وهي منتشرة في بلاد القبائل والأوراس (زواوة - كتامة..). المجموعة الثانية متميزة بقصر القامة والسمنة والشعر السواد والعيون العسلية، وهي منتشرة في جبال الريف والأطلس المغربيين (غمارة - هواره...). المجموعة الثالثة تتميز بالطول وبياض البشرة وخفة الشعر والوجوه العريضة والشاحبة، وهي منتشرة في أواسط الصحراء ومناطق سوف ومزاب والجريد (فطناسة - هرماسة - قرماسة - برغواطة...). المجموعة الرابعة متكوّنة أساساً من طوارق الصحراء وتتميز بطول القامة والأطراف وضيق الصدر والبطن مع غلبة السمنة والملاح الزنجية (صنهاجة - زناتة - لمتونة...). المجموعة الخامسة تتميز بالقصر والسمنة وضخامة الجثة والرؤوس الكبيرة المستديرة ومجالها غرب النيل إلى الحدود التونسية (الليبو..). وهو تنوع يعكس بلا شكّ تعدّداً في الأصول والأعراق... فعن أيّ تجانس عرقيّ وإثنيّ للبربر نتحدّث؟؟ ■

العرقيّ والإثنيّ مجرد أسطورة من اختلاق المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية، وهذا باعتراف أحد أقطاب منظريها (الدكتور روني باسي) حيث قال في كتابه (البربر) ص ١١ (هناك معطى غير قابل مطلقاً للنقاش، وهو أنّ البرابرة اليوم - معرّبين أم غير معرّبين - لا يشكّلون بأيّ طريقة من الطرق مجموعة عرقية إثنية متجانسة) والفضل ما اعترف به الأعداء... هذا الحكم الذي يرقى إلى مستوى المسلمة التاريخية البديهية يكتسب مصداقيته وحجّيته من تواتره وانطباقه على واقع البربر عبر سيرورة تاريخهم من العصر الحجريّ إلى يوم الناس هذا بالمشاهد الملموس. فقد أثبتت الحفريات والتنقيبات والكشوف الأثرية أنّ منطقة شمال أفريقيا شهدت في العصر الحجريّ الحديث حضارات مختلفة متميزة من حيث طرق العيش والعادات الغذائية والأدوات المستعملة والصناعات الحجرية والأساليب الفنية (الحضارة العاترية - القفصية - الموستيرية - الوهرانية...) وأنها كانت تعكس نماذج بشرية متنوّعة من حيث السمات والبنية الهيكلية؛ ممّا أجاز لنا التحدّث عن (الإنسان القفصيّ - إنسان بئر العاتر - إنسان مشتي العربيّ - أصحاب الرؤوس المستديرة..). هذا الخليط العرقيّ الإثنيّ اللامتجانس والذي ميّز فترة ما قبل التاريخ تواصل مع الفترات التاريخية القديمة والوسيطّة؛ إذ نجد له صدى في كتب النسابة الإغريقيّ والرّومان والعرب وفي نقوش المعابد الفرعونية، فقد تحدّثت كلّها وبصراحة عن قبائل وشعوب متعدّدة

بسم الله الرحمن الرحيم
الأذرع المالية للدول الرأسمالية الكبرى

د. الأسعد العجيلي

يعتبر صندوق النقد الدولي والبنك الدولي أحد أهم الأذرع المالية التي تستخدمها الدول الرأسمالية الكبرى للهيمنة على اقتصاد العالم؛ وذلك بإغراق الدول في دوامة الديون وفرض التبعية الاقتصادية عليها، فالقروض التي تقدمها هذه المؤسسات المالية وسيلة لبسط النفوذ، وسلاح سياسي في يد الدولة المقرضة تستخدمه لتفرض به سياستها ونظامها على البلد الذي يأخذ هذه القروض، وأي نكسة تصيب مشاريع التنمية في الدول المستدينة هي نكسة للنظام الذي يقوم بتنفيذها.

وتعد برامج الإصلاح المالية والاقتصادية التي تفرضها هذه المؤسسات المالية على الدول المستدينة بمثابة الجرعات المميته التي تجهز على اقتصاد الدول وتجعلها تابعة وخاضعة للجهات الدائنة. والإقراض يتم بعد إرسال الخبراء لمعرفة مقدرة البلاد المالية، والإحاطة بأسرارها الاقتصادية، وفرض شروط ومشاريع معينة هي في الغالب مشاريع استهلاكية وخدمات عامة، وليست مشاريع إنتاجية

إلى بيع طاقات وثروات الدول الضعيفة بسعر زهيد.

- تقليص نفقات الدولة لرفع الأعباء عن الميزانية ويكون بتقليص كتلة الأجور وبتخفيض أو إلغاء المصروفات والخدمات التي تقدمها الحكومة للناس في مجال الحاجات الأساسية كالمسكن والملبس والغذاء، والحاجات الضرورية كالتهذيب والتعليم والتطبيب، فتزداد تكاليف الحياة على الأفراد، ويعمهم الجهل والمرض والفقير.

- زيادة أسعار المحروقات، وهذا يزيد الأسعار في البلد من مواصلات إلى غلاء في المعيشة، وركود اقتصادي، وتضخم في العملة.
- زيادة موارد الميزانية عن طريق فرض الضرائب؛ ضريبة المبيعات، ضريبة الدخل، ضريبة الأرباح، ضريبة العمال؛ مما يزيد الأسعار، فيلحق الضرر بالمستهلك والمنتج؛ حيث يقل الإقبال على السلع فيلحق الضرر بالمنتج أو المصدر، ويزيد الأعباء على الناس، فالنظام يعيش على دماء الرعية، قال ﷺ:

وتتلخص الشروط التي يضعها صندوق النقد الدولي مقابل القروض في النقاط التالية:

- تخفيض سعر العملة المحلية مقابل الدولار، وهذا يعني مشكلة من وجهين، الأول: ارتفاع أسعار السلع محلياً بسبب انخفاض القيمة الشرائية للعملة المحلية وارتفاع كلفة الإنتاج. والثاني: عدم الاستفادة من انخفاض العملة في منافسة صادرات الدول المدينة للبضائع الأخرى في الأسواق الدولية؛ بسبب قلة هذه الصادرات، كل ما هنالك أن هذا سيؤدي

وتتلخص الشروط التي يضعها صندوق النقد الدولي مقابل القروض في النقاط التالية:

- تخفيض سعر العملة المحلية مقابل الدولار، وهذا يعني مشكلة من وجهين، الأول: ارتفاع أسعار السلع محلياً بسبب انخفاض القيمة الشرائية للعملة المحلية وارتفاع كلفة الإنتاج. والثاني: عدم الاستفادة من انخفاض العملة في منافسة صادرات الدول المدينة للبضائع الأخرى في الأسواق الدولية؛ بسبب قلة هذه الصادرات، كل ما هنالك أن هذا سيؤدي

الصحة الإنجابية (تقليل عدد السكان) وغيرها. أما المشاريع الضخمة والاستراتيجية فإن البنك لا يقوم باستثمارها إلا إذا قامت بها شركات غربية (متعددة الجنسيات)، ثم يغرق الدولة بالديون، ويعطل عجلة التنمية، ويساعد على نهب ثروات الأمة.

والقروض التي تُعطىها هاتان المؤسستان على نوعين: قصيرة الأجل، وطويلة الأجل. أما القروض قصيرة الأجل فإن القصد منها ضرب عملة البلاد لإيجاد اضطراب فيها؛ لأنه لا يُقبل السداد إلا بالعملات الصعبة، وقد تعجز البلاد عن التسديد بهذه العملات لندرتها لديها، أو لأنها في حاجة إليها، مما يضطرها لشراء هذه العملات بأسعار عالية، فتهدب قيمة عملتها وتلتجئ إلى صندوق النقد، فيتحكم في عملتها حسب السياسة التي تراها أميركا لأنها هي التي تسيطر عليه وتملك أكثرية أسهمه.

أما القروض طويلة الأجل فإنها توضع لآجال طويلة، ويُتغافل عن تسرب هذه الديون للأرصدة الشخصية ويُتساهل عند استحقاقها حتى تتراكم وتصبح مبالغ ضخمة تعجز البلاد عن تسديدها، فيبدأ تدخل الدولة المقرضة إما مباشرة أو عن طريق المؤسسات المستخدمة في الإقراض، ويجري فرض برنامج للتصحيح الاقتصادي يتضمن شروطاً مهلكة مثل تخفيض سعر العملة، وتقليل الإنفاق الحكومي، وخصخصة المشاريع العامة، وتعويم أسعار العديد من السلع، ورفع الرسوم على بعض المواد والخدمات مثل المحروقات والمياه

«إن من أعظم الخيانة أن يتاجر الراعي في رعيته».

• الخصخصة؛ وذلك ببيع المنشآت والمؤسسات العامة للقطاع الخاص لتمويل الموازنة، وهي من أهم وأخطر السياسات التي يفرضها هذا الصندوق الاستعماري على الدول المستدينة لالتهام مقدرات الشعوب.

• وضع برنامج تكشف تلتزم به الدولة، ويشمل ذلك رفع نسبة الربا، زيادة الضرائب، زيادة التعرفة الجمركية التي تشمل سلعا أساسية وغذائية وضرورية، تقليص النفقات، ما من شأنه تحميل الناس فوق طاقتهم.

• إن السياسات التي يتبناها صندوق النقد الدولي تهدف إلى تحويل البلدان المقترضة إلى أسواق مفتوحة لتصريف بضائع الدول الرأسمالية بأسعار عالية، وتخلق الظروف الموضوعية لتحويل الاقتصاد القائم على التخطيط والتوجيه المركزي إلى اقتصاد سوق رأسمالي تعبت به الرأسمالية المتوحشة التي لا تعرف سوى الجشع ومزيد من الأرباح.

فالإصلاحات التي يفرضها الصندوق هي في الأصل حزمة مسمومة ملغومة تؤدي في نهاية المطاف إلى تجويع العباد وتركيع البلاد.

أما البنك الدولي، فيعتمد إلى دعم ما يسمى «بناء البنية التحتية» والتركيز على الثروات السيادية من أجل استثمارها كما يزعم؛ ولكنه ينتقي المشاريع التي لا تعود بالربح على الدولة، مثل مشاريع المحافظة على التراث، مشاريع البيئة، المشاريع السياحية، مشاريع

ذلك في كل بقاع العالم أكثر من أن تُحصى، علاوة على استجلاب سخط رب العالمين لأنه تعامل بالربا الذي حرمه الشرع، يقول تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٣٦) ويقول تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ وجاء في صحيح مسلم عن جابرٍ قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْلَ الرِّبَا وَمُوكَلَّهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ»، فالاقتصاد لم ولن يتعافى بالحرام، ولن ينهض بمخالفة شريعة الله الغرء وطريق الهدى المستقيم، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ ومن يفعل ذلك فكأنما يتجرع الداء ليتداوى، ويترك البلاد فريسة لمزيد من النهب من قبل الدول الكبرى ومؤسساتها. وحتى تنهض البلاد اقتصاديًا النهضة الصحيحة يجب تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي كاملاً في إطار تطبيق المنظومة الإسلامية الكاملة دون اجتزاء أجزاء منها، فإن أحكام الإسلام متداخلة مترابطة؛ لأنها جاءت لحل مشاكل الإنسان الناجمة عن حاجاته وغرائزه المتداخلة المترابطة، فلا يمكن ولا يجوز فصلها وتجزئتها بحال من الأحوال، ولن تؤدي إلى النهضة إلا بتطبيقها كاملاً في إطار دولة إسلامية هي دولة الخلافة.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٦) ■

والكهرباء، وفرض ضرائب جديدة، وغيرها من الإجراءات التي تجعل اقتصاد البلد والسياسة المالية فيه في قبضة الدول المقرضة. هذا بالإضافة إلى أن نسبة هامة من القروض التي تحصل عليها الدولة المستدينة من البنك الدولي أو صندوق النقد الدولي ستوجه إلى دعم الميزانية لسداد القروض القديمة.

إن الاقتصاد لا يعالج بالاقتراض من هذه المنظمة الدولية أو تلك، وإنما بتنفيذ مشروع مبدئي نابع من عقيدة الأمة ومنبثق من كتاب ربها وسنة رسولها صلى الله عليه وسلم، لا من نظريات المبدأ الرأسمالي ونهج الكفار في الحياة. علاوة على ذلك فقد أصبح معروفاً عند القاضي والداني أن صندوق النقد الدولي وكذلك البنك الدولي هما مؤسستان استعماريتان للدول الكبرى للتدخل في شؤون دول العالم بإغراقها في دوامة الديون وفرض التبعية الاقتصادية عليهم، فقد ازداد الفقر وتضاعفت المشاكل حيثما حلًا، وبلدان كمصر وتونس والأردن خير شاهد على ذلك بعد تعاملات دامت عقوداً مع هاتين المؤسستين، ولقد حدا هذا الواقع ببعض المراقبين الدوليين النازحين للمطالبة بإلغائهما، أو وضع قيود للحد من تدخلتهما في الشؤون الداخلية والخارجية للبلاد، فإن أمريكا والدول الأوروبية تتخذ منهما أدوات قوية لتحقيق أهدافها السياسية.

إن الاقتراض من هذه المنظمات التي تعمل بالنظام الرأسمالي الربوي يجرُّ البلاد الإسلامية إلى مزيد من الفقر والتابعة، والشواهد على



بعد إحكام طالبان سيطرتها على أفغانستان بعض قدامى المحاربين البريطانيين يقدمون على الانتحار

قال وزير القوات المسلحة البريطاني جيمس هيبى إن بعض قدامى المحاربين البريطانيين في الحرب الأفغانية يقدمون على الانتحار بسبب الضرر النفسي الشديد الذي تعرّضوا له جرّاء الانسحاب الفوضوي للقوات التي تقودها الولايات المتحدة من ذلك البلد وانتصار طالبان، وتراجع الوزير البريطاني في وقت لاحق عن تصريحاته مؤكداً أنه أخطأ عندما قال إن بعض الجنود البريطانيين السابقين انتحروا بسبب الغضب من الانسحاب الذي قادته الولايات المتحدة من أفغانستان. وأضاف هيبى لتلفزيون هيئة الإذاعة البريطانية (بي.بي.سي) «في الواقع، الأمر الذي كنت أشير إليه كان غير دقيق... نبحث بعناية شديدة فيما إذا كان إقدام أحدهم على الانتحار في الأيام القليلة الماضية صحيحاً».

الوعمي: نقول لكم ما قاله الله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا بِعِظَتِكُمْ﴾ ونسأل الله أن يكون انتصاراً يتلوه يوم النصر الكبير بإقامة الخلافة الراشدة، وما ذلك على الله بعزيز

في تأمر علي وفج ضد الإسلام... توقيع اتفاقية شراكة استثنائية بين رابطة العالم الإسلامي ومعهد بلير

قالت رابطة العالم الإسلامي، إنها وقعت اتفاق شراكة استثنائية مع معهد توني بلير للتغيير العالمي، لجمع رؤيتي المؤسستين. وأشارت الرابطة في بيان إلى أنها ستعمل مع بلير على مدى السنوات الثلاث المقبلة، على تقديم برنامج عالمي لتزويد ١٠٠ ألف شاب بين أعمار ١٣ و١٧ بمهارات التفكير والنقد، في ١٨ دولة، لمواجهة تحديات فرص المستقبل وفق وصفها. كما سيعمل البرنامج من خلال شبكات المدارس وشركاء التعليم حول العالم على تدريب أكثر من ٢٤٠٠ معلم على «مهارات الحوار مثل التفكير الناقد، والاستماع النشط، والتواصل العالمي، لنقل هذه المهارات إلى طلابهم، وبذلك سيسهم البرنامج في بناء قدر أكبر من التفاهم المتبادل والتسامح والثقة بين الشباب ومجتمعاتهم، وتصحيح المفاهيم حول التنوع الديني

والثقافي...» وانتقد مغردون الاتفاقية وقالوا إن بلير بالأمس هاجم العالم الإسلامي، واليوم توقع معه الرابطة اتفاقية مطالبين بتغيير اسمها بما يتناسب مع توجهاتها الصهيونية المحاربة للإسلام.

الوعمي: رابطة الضُّرار هذه، والتي تحمل اسم الإسلام زورًا، إن هي إلا أداة من أدوات الأنظمة الخائنة لله ولرسوله ولدينه والمؤمنين، والمالية للنظام السعودي الخائن العميل بالأمس لبريطانيا، واليوم لأمریکا، وغدًا إن شاء الله في مقبرة التاريخ، وفي الآخرة في جهنم وبئس المصير...

الغاردیان: بلير يهاجم الإسلاميين بالذكرى العشرين لـ ١١ سبتمبر

في خطاب ألقاه أمام معهد الأبحاث «روسي» بمناسبة مرور ٢٠ عامًا على هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، هاجم رئيس الوزراء البريطاني السابق، توني بلير، ما أسماها «الراديكالية الإسلامية» مشيرًا إلى أنها الخطر الأمني الأول على أوروبا. وأكد أنه وبرغم تراجع الهجمات الإرهابية فإن «الإسلامية: عنقًا وأيديولوجية، هي تهديد أمني أول، وفي حالة عدم مراقبتها فستأتي إلينا، حتى لو كان مركزها بعيدًا عنا، كما ظهر في هجمات ١١ سبتمبر». وأضاف: «بالنسبة لي فإن أكثر التطورات في الأوقات الأخيرة والتي تشغل بالي هو حس أن الغرب ليست لديه القدرة أو الوصفة الاستراتيجية، وهو تفكير قصير الأمد قلل من إمكانية التفكير على المدى البعيد». و«هذا الحس أكثر من أي شيء آخر هو ما يعزز الشعور بالقلق لدى حلفائنا ويمنح أعداءنا الشعور بأن وقتنا قد انتهى». واعترف بلير بوجود قيود سياسية ضخمة على التدخلات العسكرية، وهو ما يمثل تحديًا لكل من الناتو وبريطانيا. واعترف ضمناً أن بناء الدول كما تم في أفغانستان قد فشل، وأن القادة كانت لديهم فكرة ساذجة حول إمكانية تحقيقه والمدة التي يحتاجها. وأكد أن محاولة إعادة تشكيل الدول لم تفشل لأن الناس لا يريدون محاولات الغرب. وبالتأكيد «لم نستطع إعادة تشكيل أفغانستان للأفضل» لكن الأفغان لم يختاروا طالبان. وزعم أن آخر استطلاع رأي جرى في ٢٠١٩ أظهر أن نسبة الدعم لطالبان لا تتجاوز ٤٪. وزعم أن طالبان غزت البلاد عبر العنف لا الإقناع.

الوعمي: هذا هو بلير اليبائس الخائب في آخر تصريحاته الحاقدة على الإسلام... والذي تعقد معه رابطة العالم الإسلامي اتفاق شراكة ثقافي تغريبي تدويبي للإسلام في مفاهيم الحضارة الغربية الكافرة.

صحيفة: ألمانيا شحنت الخمر من أفغانستان وتركت «المتعاونين»

قالت صحيفة «بيلد» الألمانية إن قوات البلاد العاملة في أفغانستان شحنت آلاف علب البيرة والنيبذ من هناك عوض إجلاء الأفغان الذين تعاونوا معها طوال السنوات الماضية، ووجهت الصحيفة انتقادات حادة للحكومة الألمانية بسبب «فشلها في إجلاء موظفي الدعم الأفغان» قبل سيطرة طالبان على كابول. وذكرت الصحيفة أن الجيش الألماني شحن ما يقرب من ٦٥ ألف علبة بيرة و٣٤٠ زجاجة نيبذ إلى ألمانيا أثناء استكمال انسحاب قواته من أفغانستان في نهاية حزيران/ يونيو، لكن المئات من الموظفين الأفغان وأفراد أسرهم لم يحصلوا على تأشيرة، ولم يتم إجلاؤهم على الفور، وأوضحت الصحيفة أن «أولئك الذين عملوا لسنوات عديدة لفائدة ألمانيا وخطروا بحياتهم من أجلها، قيمتهم على ما يبدو أقل من علب الجعة». وانتقد كريستوف هوفمان، النائب عن الحزب الديمقراطي الحر المعارض، وزير الخارجية هايكو ماس لارتكابه «أخطاء فادحة وفشله في إعطاء الأولوية لإجلاء الأفغان» المتعاونين، بحسب الصحيفة.

الوعمي: هذا الموقف ليس مستغرباً من أصحاب الحضارة الغربية، والدليل تكرّره من مختلف الدول الرأسمالية. وبالنسبة لنا فإن هؤلاء المتعاونين هم رخائن بما لا يقاس.

كاتب بريطاني: ضحايا أفغانستان ذهبوا سدّي

رأى الكاتب البريطاني ماثيو باريس، في مقال نشرته صحيفة «التايمز» أن مشهد انسحاب قوات بلاده، برفقة الحليفة الكبرى، الولايات المتحدة، يعكس «حقيقة حزينة» مفادها أن «من قتلوا في أفغانستان ذهبوا سدّي». وقال الكاتب إن القوات البريطانية «أخفقت في أفغانستان»، وإنه «على مدار ما يقرب من عقدين من الزمن، عززنا الفشل الواضح؛ حيث افتقرنا إلى العقل والشجاعة للاعتراف بما يجري على مرأى من الجميع». وأضاف: «على عكس ما يقوله بعض كبار العسكريين، فإنه يمكن أن تكمن الشجاعة في الاعتراف بالفشل، وليس من الشجاعة دائماً مضاعفة الأرواح المهذّرة». وأوضح الكاتب أن عبارة «نحن مدينون للذين قتلوا، هي حجة (للمضي في الطريق الخاطئ) وستجعل التراجع عن أي جانب (من جوانب الفشل) مستحيلاً»، وبين أن ما يفترض أن يقوله الساسة الغربيون هو أنهم «مدينون للأحياء وليس للأموات، ولتقليل الخسائر فإن الأمر يتطلب رباطة جأش أكثر من مضاعفة هذه الخسائر».

الوعمي: إن الغرب ذرائعي، ليس في قاموسه موضوع الحق والباطل بل التفكير المصلحي

فحسب، ونحن نقول له: كلاً، إن قتلى أفغانستان منكم لم يذهبوا سدى، بل إلى جهنم وبئس المصير (قتلانا في الجنة إن شاء الله، وقتلاكم في النار)..

كتب مدرسية أمريكية تدرّس تاريخ البلاد من منظور عنصري

نشرت صحيفة «الغارديان» البريطانية تقريراً استعرضت فيه نتائج التحقيق الذي أجرته حول حقيقة وجود كتب ذات طابع يميني عنصري، معتمدة ضمن المناهج التعليمية بعدد من المدارس الخاصة والمدارس المسيحية في الولايات المتحدة. وقالت الصحيفة في هذا التقرير الذي ترجمته «عربي ٢١» إن كتاب «بوب جونز» المدرسي عن تاريخ العالم، يصف الدين الإسلامي باعتباره ديناً عنيفاً، ويضم قسمًا كاملاً بعنوان «الإسلام والقتل». فيما يتحدث كتاب «أبيكا»، وهو كتاب التاريخ لطلاب الصف الحادي عشر، عن العبودية في الولايات المتحدة من منظور اقتصادي بحت، حيث جاء فيه أن «العبيد يعتبرون استثمارات أفضل من الخدم المأجورين». وتصف هذه الكتب المدرسية العبودية باعتبارها «هجرة السود». ويشير أحد كتب التاريخ المدرسية إلى المهاجرين باعتبارهم «أجانب». بينما يناقش كتاب ثالث انتشار المنظمات التي تؤمن بـ«تفوق العرق الأسود» خلال حركة الحقوق المدنية، واصفاً مالكولم إكس بأنه أبرز دعاة تفوق السود في تلك الحقبة. وتستخدم هذه الكتب لطمس إرث العبودية، وتهميش دور السكان الأصليين في تاريخ البلاد. وحسب آدم لاتس، الأستاذ بجامعة بينغامتون، فإن هذه الكتب التي تدرس التاريخ من منظور إنجيلي منذ عدة عقود، تثير المخاوف بشأن علمانية المجتمع. وتضيف الصحيفة أن المدارس الخاصة في الولايات المتحدة، على عكس المدارس العامة، لا يُفرض عليها قدر كبير من الرقابة أو القيود فيما يتعلق بالمناهج الدراسية، ويفتخر موقع «أبيكا» بأن كتبه وصلت إلى أكثر من مليون طالب مسيحي سنة ٢٠١٧م. ويزعم موقع «التعليم المسيحي المختصر» على الويب، أن مواده تُستخدم في «عشرات الآلاف من المدارس، وعدد لا يُحصى من المدارس المنزلية في أكثر من ١٤٠ دولة»

الوعمي: إن مثل هذه المناهج إن دلت فإنما تدل على قابلية تفكك المجتمع الأمريكي وتفسخه، بل قل وتفجره؛ بسبب العنصرية الكامنة فيه، ويعني فيما يعنيه أن المجتمع لا تتظمه ثقافة علمانية جامعة؛ وهذا يشكل خطراً وجودياً على النسيج الأمريكي وتجعله قابلاً للتمزق الذي يمكن أن يطيح به.

قَالَ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾

سورة النصر مدنية، وآياتها ثلاث. هذه السورة الصغيرة، كما تحمل البشرى لرسول الله ﷺ بنصر الله والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجًا، وكما توجهه ﷺ حين يتحقق نصر الله وفتح واجتماع الناس على دينه إلى التوجه إلى ربه بالتسبيح والحمد والاستغفار، وكما تحمل إلى الرسول ﷺ البشرى والتوجيه... فإنها تكشف في الوقت ذاته عن طبيعة هذه العقيدة وحقيقة هذا المنهج، ومدى ما يريد أن يبلغ بالبشرية من الرفعة والكرامة والتجرد والخلوص والانطلاق والتحرر... هذه القمة السامقة الوضيئة، التي لم تبلغها البشرية قط إلا في ظل الإسلام، ولا يمكن أن تبلغها إلا وهي تلبى هذا الهدف العلوي الكريم.

وقد وردت روايات عدة عن نزول هذه السورة نختار منها رواية الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق، قال: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يكثُر في آخر أمره من قوله: "سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه" قال: "إن ربي كان أخبرني أنني سأرى علامة في أمتي، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره إنه كان توابًا" فقد رأيتها... ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾ رواه مسلم.

وقال ابن كثير في التفسير: والمراد بالفتح ها هنا فتح مكة. قولًا واحدًا. فإن أحياء العرب كانت تتلوم (أي تنتظر) بإسلامها فتح مكة يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجًا، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانًا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، ولله الحمد والمنة. وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ وكانت الأحياء تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون: دعوه وقومه، فإن ظهر عليهم فهو نبي... (الحديث) فهذه الرواية هي التي تتفق مع ظاهر النص في السورة: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ... ﴾ فهي إشارة عند نزول السورة إلى أمر سيحيى بعد ذلك، مع توجيه النبي ﷺ إلى ما يعمل عند تحقق هذه البشارة وظهور هذه

العلامة. وهناك رواية أخرى عن ابن عباس؛ لا يصعب التوفيق بينها وبين هذه الرواية التي اخترناها.. قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن علمتم. فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم، فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليربهم فقال: ما تقولون في قول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت لا. فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له. قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾. فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقول (تفرد به البخاري). فلا يمتنع أن يكون الرسول ﷺ حين رأى علامة ربه أدرك أن واجبه في الأرض قد كمل، وأنه سيلقى ربه قريباً. فكان هذا معنى قول ابن عباس: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له... وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دعا رسول الله ﷺ فاطمة عام الفتح فناجها، فبكت، ثم ناجها فضحكت. قالت: فلما توفي رسول الله ﷺ سألتها عن بكائها وضحكها. قالت: أخبرني رسول الله ﷺ أنه يموت فبكيت، ثم أخبرني أنني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران فضحكت... أخرجه الترمذي فهذه الرواية تتفق مع ظاهر النص القرآني، ومع الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأخرجه مسلم في صحيحه. من أنه كانت هناك علامة بين الرسول ﷺ وربه هي: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فلما كان الفتح عرف أن قد قرب لقاءه لربه، فناجى فاطمة رضي الله عنها بما روته عنها أم سلمة رضي الله عنها. ونخلص من هذا كله إلى المدلول الثابت والتوجيه الدائم الذي جاءت به هذه السورة الصغيرة... فإلى أي مرتقى يشير هذا النص القصير: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ٣ ﴿ في مطلع الآية الأولى من السورة إحياء معين لإنشاء تصور خاص، عن حقيقة ما يجري في هذا الكون من أحداث، وما يقع في هذه الحياة من حوادث. وعن دور الرسول ﷺ ودور المؤمنين في هذه الدعوة. وحدثهم الذي ينتهون إليه في هذا الأمر... هذا الإحياء يتمثل في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ...﴾ فهو نصر الله يجيء به الله، في الوقت الذي يقدره، في الصورة التي يريدتها. للغاية التي يرسمها. وليس للنبي ولا لأصحابه من أمره شيء، وليس لهم في هذا النصر يد، وليس لأشخاصهم فيه كسب، وليس لذواتهم منه نصيب، وليس لنفوسهم منه حظ! إنما هو أمر الله يحققه بهم أو بدونهم. وحسبهم منه أن يجريه الله على أيديهم، وأن يقيمهم عليه حراساً، ويجعلهم عليه أمناء..

هذا هو كل حظهم من النصر ومن الفتح ومن دخول الناس في دين الله أفواجًا...

وبناء على هذا الإيحاء وما ينشئه من تصور خاص لحقيقة الأمر، يتحدد شأن الرسول ﷺ ومن معه بإزاء تكريم الله لهم، وإكرامهم بتحقيق نصره على أيديهم. إن شأنه ومن معه هو الاتجاه إلى الله بالتسبيح والحمد والاستغفار في لحظة الانتصار، التسبيح والحمد على ما أولاهم من منة بأن جعلهم أمناء على دعوته حراسًا لدينه. وعلى ما أولى البشرية كلها من رحمة بنصره لدينه، وفتحه على رسوله ودخول الناس أفواجًا في هذا الخير الفائض العميم، بعد العمى والضلال والخسران، والاستغفار لملاسات نفسية كثيرة دقيقة لطيفة المدخل: الاستغفار من الزهو الذي قد يساور القلب أو يتدسس إليه من سكرة النصر بعد طول الكفاح، وفرحة الظفر بعد طول العناء. وهو مدخل يصعب توقيه في القلب البشري. فمن هذا يكون الاستغفار. والاستغفار مما قد يكون ساور القلب أو تدسس إليه في فترة الكفاح الطويل والعناء القاسي، والشدة الطاغية والكرب الغامر، من ضيق بالشدة، واستبطاء لوعده الله بالنصر، وزلزلة كالتي قال عنها في موضع آخر: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ ﴿١٤﴾ فمن هذا يكون الاستغفار. والاستغفار من التقصير في حمد الله وشكره. فجهد الإنسان، مهما كان، ضعيف محدود، وآلاء الله دائمة الفيض والهملان ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ﴿١٤﴾ فمن هذا التقصير يكون الاستغفار...

وهناك لطيفة أخرى للاستغفار لحظة الانتصار... ففيه إيحاء للنفس وإشعار في لحظة الزهو والفخر بأنها في موقف التقصير والعجز. فأولى أن تطامن من كبريائها، وتطلب العفو من ربها. وهذا يصدُّ قوى الشعور بالزهو والغرور...

ثم إن ذلك الشعور بالنقص والعجز والتقصير والاتجاه إلى الله طلبًا للعفو والسماحة والمغفرة يضمن كذلك عدم الطغيان على المقهورين المغلوبين؛ ليرقب المنتصر الله فيهم، فهو الذي سلطه عليهم، وهو العاجز القاصر المقصر. وإنها سلطة الله عليهم تحقيقًا لأمر يريده هو. والنصر نصره، والفتح فتحه، والدين دينه، وإلى الله تصير الأمور.

إنه الأفق الوضيء الكريم الذي يهتف القرآن بالنفس البشرية لتتطلع إليه، وترقى في مدارجه، على حدائه النبيل البار، الأفق الذي يكبر فيه الإنسان لأنه يطامن من كبريائه، وترفُّ فيه روحه طليقة لأنها تعنو لله!

إنه الانطلاق من قيود الذات ليصبح البشر أرواحًا من روح الله. وليس لها حفظ في شيء إلا رضاه.

ومع هذا الانطلاق جهاد لنصرة الخير وتحقيق الحق؛ وعمل لعمارة الأرض وترقية الحياة؛ وقيادة للبشرية قيادة رشيدة نظيفة معمرة، باقية عادلة خيرة، الاتجاه فيها إلى الله. وعبثًا يحاول الإنسان الانطلاق والتحرر وهو مشدود إلى ذاته، مقيد برغباته، مثقل بشهواته. عبثًا يحاول ما لم يتحرر من نفسه، ويتجرّد في لحظة النصر والغنم من حظ نفسه ليذكر الله وحده.

وهذا هو الأدب الذي اتسمت به النبوة دائمًا، يريد الله أن ترتفع البشرية إلى آفاقه، أو تتطلع إلى هذه الآفاق دائمًا...

كان هذا هو أدب يوسف عليه السلام في اللحظة التي تمّ فيها كل شيء، وتحققت رؤياه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٠﴾﴾ وفي هذه اللحظة نزع يوسف عليه السلام نفسه من الصفاء والعناق والفرحة والابتهاج ليتجه إلى ربه في تسبيح الشاكر الذاكر كل دعوته وهو في أبهة السلطان وفي فرحة تحقيق الأحلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٣١﴾﴾ وهنا يتوارى الجاه والسلطان، وتتوارى فرحة اللقاء وتجمع الأهل ولمّة الإخوان، ويبدو المشهد مشهد إنسان فرد يبتهل إلى ربه أن يحفظ له إسلامه حتى يتوفاه إليه، وأن يلحقه بال صالحين عنده. من فضله ومنه وكرمه...

وكان هذا هو أدب سليمان عليه السلام وقدرأى عرش ملكة سبأ حاضرًا بين يديه قبل أن يرتد إليه طرفه: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ وهذا كان أدب محمد ﷺ في حياته كلها، وفي موقف النصر والفتح الذي جعله ربه علامة له، انحنى لله شاكرًا على ظهر دابته، ودخل مكة في هذه الصورة. مكة التي آذته وأخرجته وحاربتة ووقفت في طريق الدعوة تلك الوقفة العنيدة... فلما أن جاءه نصر الله والفتح، نسي فرحة النصر وانحنى انحناء الشكر، وسبّح وحمد واستغفر كما لقنه ربه، وجعل يكثر من التسبيح والحمد والاستغفار كما وردت بذلك الآثار. وكانت هذه سنته في أصحابه من بعده، رضي الله عنهم أجمعين.

وهكذا ارتفعت البشرية بالإيمان بالله، وهكذا أشرقت وشفقت ورفرفت، وهكذا بلغت من

العظمة والقوة والانطلاق... ■



بسم الله الرحمن الرحيم

شرح حديث

(ما من الأنبياء من نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». متفق عليه.

«إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ»: أي العلامات، والمقصود ما يأتي به الأنبياء من خوارق العادات.

«مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ»: أي أن كل نبي أعطي آية أو أكثر، تجعل من يشاهدها يؤمن بنبوة

النبي ﷺ من البشر.

«وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ»: قال النووي رحمه الله: «اختلف فيه على

أقوال؛ أحدها: إن كل نبي أعطي من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الأنبياء، فأمن

به البشر، وأما معجزتي العظيمة الظاهرة فهي القرآن الذي لم يُعط أحد مثله، فلهذا قال أنا

أكثرهم تابعًا... والثاني: معناه أن معجزات الأنبياء عليهم السلام انقرضت بانقراض أعصارهم، ولم

يشاهدها إلا من حضرها بحضرتهم، ومعجزة نبينا ﷺ القرآن المستمر إلى يوم القيامة، مع

خرق العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة من

مثله، مجتمعين أو متفرقين، في جميع الأعصار مع اعتنائهم بمعارضته فلم يقدرُوا وهم أفصح

القرون، مع غير ذلك من وجوه إعجازه المعروفة» شرح النووي لصحيح مسلم.

والمعنى الأخير هو الأظهر، واختاره ابن حجر رحمه الله قال بعدما أورده: «وهذا أقوى

المحتملات وتكميله في الذي بعده، وقيل المعنى: إن المعجزات الماضية كانت حسيّة تشاهد

بالأبصار كناقاة صالح، وعصا موسى... ومعجزة القرآن تُشاهد بالبصيرة؛ فيكون من اتبعه لأجلها

أكثر؛ لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق

يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً» فتح الباري شرح صحيح البخاري.

وليس المراد أن النبي ﷺ لم يؤت بآية إلا القرآن، وإنما ذكرت هنا لأنها هي الآيّة العظمى

والأعم والأبقى. قال ابن حجر رحمه الله: «وليس المراد حصر معجزاته فيهن، ولا أنه لم يؤت من

المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره» فتح

قال ابن بطال رحمه الله في حديث الباب: «صدق بتلك الآيات لإعجازها لمن شاهدها، كقلب العصا حية، وخلق البحر لموسى عليه السلام، وكإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ليعسى عليه السلام، وكان الذي أعطيته أنا وحياً أوحاه الله إليّ، فكان آية باقية دُعي إلى الإتيان بها أهل التعاطي له، ومن نزل بلسانهم، فعجزوا عنه، ثم بقي آية ماثلة للعقول إلى من يأتي إلى يوم القيامة، يرون إعجاز الناس عنه رأي العين والآيات التي أوتيتها غيره من الأنبياء قبله رُئي إعجازهم في زمانهم، ثم لم تصحبهم مدة إلا حياتهم، وانقطعت بوفاتهم، وكان القرآن باقياً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم» شرح صحيح البخاري لابن بطال.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والحصر هنا إضافي؛ لأن النبي ﷺ أوتي من الآيات غير القرآن؛ لكنه حصر الآيات بالقرآن؛ لأنه أعمها وأشملها وأبقاها... لأن القرآن بقي ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، والآيات الأخرى كلها زالت. فمثلاً من آيات الرسول ﷺ أنه دخل رجل يوم الجمعة، فسأل عن الرسول ﷺ، وسأل الله أن يغيثه، فرفع يديه وأغاثهم الله قبل أن ينزل من المنبر، نحن الآن وصلتنا هذه الآية عن طريق الخبر، ومن المعلوم لو أننا كنا شاهدناها؛ لكننا أكثر إيماناً مما لو سمعناها لاشك... كل الآيات التي مضت في عهد النبي ﷺ زالت عنا باعتبار المشاهدة؛ لكن القرآن باقٍ بين أيدينا؛ لكننا فقدنا طعمه ولم ندقه؛ لأننا لا نقرأ على الوجه الذي أراد الله تعالى منا: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا﴾ [لماذا؟] ﴿لِيَذَّبَ رُءُوسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأُولَئِ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (ص: ٢٩) فهذا القرآن آية إلى أن يأذن الله سبحانه وتعالى برفعه؛ لأنه قد وردت آثار بأنه سيرفع عند قيام الساعة من المصاحف والصدور، وهذا والله أعلم إذا عرض الناس عنه إعرافاً كلياً، لا يتلونه تلاوة لفظية ولا معنوية، ولا عملية يرفعها الله؛ لأنه أكرم من أن يبقى بين أناس لا يبالون به، ولا يهتمون به، كما أن الكعبة في آخر الزمان تهدم، لأن أهلها ينتهكونها ولا يعطونها حقها من الحرمة. «فَأَرْجُوا أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»؛ لأن آيته ﷺ القرآن باقية مستمرة، فسيستمر اتباع الأتباع وكثرتهم إلى قيام الساعة.

لقد أبقى الله تعالى القرآن الكريم آية محفوظة خالدة إلى قيام الساعة فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وتحدي بها الثقيلين على مر العصور إلى قيام الساعة على عدة أوجه:

تحداهم بالقرآن كله فقال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ

لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨] وتحدّاهم بأقل من ذلك بأن يأتوا بعشر سور مثله، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَضَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣]. وتحدّاهم بأقل منه بأن يأتوا بسورة واحدة مثله، فقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣].

وهذا الحديث دليل على أن الأنبياء عليهم السلام يتفاوتون في عدد أتباعهم، ويدل على ذلك أيضًا حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين قال النبي ﷺ: «عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه؛ ولكن انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك» فهذا الحديث دليل على أن نبينا ﷺ أكثر الأنبياء تابعًا يوم القيامة، ويدل على ذلك أيضًا حديث ابن عباس السابق، وما جاء في الصحيحين من قوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»، وما رواه أحمد وابن ماجه من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعًا: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم» وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: إسناده صحيح. وذكر ابن القيم (رحمه الله) أنه لا تنافي بين العدد في الحديثين، وعلّل ذلك بقوله: «لأنه رجا أولاً أن يكونوا شطر أهل الجنة، وأعطاه الله سبحانه وتعالى رجاءه وزاده عليه سدسًا آخر» حادي الأرواح.

وفي هذا الحديث دليل على أن القرآن سبب لكثرة الأتباع؛ لعموم نفعه، وتأثيره على تاليه وسامعه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. قال ابن حجر (رحمه الله): «رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة لكثرة فائدته، وعموم نفعه لاشتماله على الدعوة والإخبار بما سيكون؛ فعمّ نفعه من حضر ومن غاب، ومن وُجد ومن سيوجد، فَحَسَنَ ترتيب الرجوى المذكور على ذلك، وهذه الرجوى قد تحققت، فإنه ﷺ أكثر الأنبياء تبعًا» فتح الباري شرح صحيح البخاري.

وهذا الحديث يعتبر علمًا من أعلام النبوة؛ حيث أخبر بكثرة الأتباع رغم قلتهم حينما قال ذلك. قال النووي (رحمه الله): «فَارْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا» علم من أعلام النبوة، فإنه أخبر ﷺ بهذا في زمن قلة المسلمين، ثم من الله تعالى وفتح على المسلمين وبارك فيهم حتى انتهى الأمر واتسع الأمر في المسلمين إلى هذه الغاية المعروفة ولله الحمد» شرح النووي لصحيح مسلم. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه

هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وخامس السابقين الأولين. وأحد الستة الذين تُوفي النبي ﷺ وهو عنهم راضٍ، وثالثُ الخلفاء الراشدين، أمير المؤمنين، عثمان بن عفان رضي الله عنه.
وُلد هذا الصحابيُّ قبل عام الفيل بستِّ سنين على الصحيح، وأسلم في أول الإسلام قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم، وكان عمره قد تجاوزَ الثلاثين، دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام قائلاً له: ويحك يا عثمان! والله إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحقُّ من الباطل. هذه الأوثان التي يعبدها قومك، أليست حجارة صماء لا تسمع ولا تُبصر، ولا تضر ولا تنفع؟ فقال: بلى والله، إنها كذلك، قال أبو بكر: هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالته إلى جميع خلقه، فهل لك أن تأتيه وتسمع منه؟ فقال: نعم. وفي الحال مرَّ رسول الله ﷺ فقال: «يا عثمان، أجب الله إلى جنته، فإني رسول الله إليك وإلى جميع خلقه»، قال: فوالله ما ملكتُ حين سمعتُ قوله أن أسلمتُ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبد الله ورسوله.

لقد كان ابنُ عفانَ هينَ الطبع، سهلَ المعاشرة، تألفهُ القلوب، وترتاحُ له النفوس. وكان كثير القنوت، سليم الطوية، عظيم الخوف من الله تعالى، أواباً لربه، جمع عثمان الحلم، والكرم، والحياء، والعفة؛ فاجتمعت له القلوب، وبلغ من كرمه ما روي أنه كان لعثمان رضي الله عنه على طلحة بن عبيد الله خمسون ألف درهم، فقال طلحة لعثمان: «إن الذي لك عليّ قد تهيأ فاقبضه. فقال له عثمان: هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك». وبلغ من حيائه ما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أصدق أمتي حياءً عثمان بن عفان». روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجاً في بيتي، كاشفاً عن فخذه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدّث، ثم استأذن عمر فأذن له، وهو كذلك، فتحدّث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد، فدخل فتحدّث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟! فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!» ولقد انتشر حبه بين الناس؛ حتى إن المرأة من قريش كانت تُرَقِّص صبيها الصغير وتقول: أُحِبُّكَ والرحمنُ حُبَّ قُرَيْشٍ لعُثمان.

وقد كانت لهذا الصحابي مواقف عظيمة تدلُّ على فضله ونصرتة لهذا الدين، لَمَّا آمَن عثمان

أوذى وعُذِب في سبيل الله تعالى على يد عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية الذي أخذه فأوثقه رباطاً، وقال: أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟ والله لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين. فقال عثمان: والله لا أدعه أبداً، ولا أفارقه. فلماً رأى الحكم صلابته في دينه تركه... ثم إنه هاجرَ الهجرتين: الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة... وجهز جيش العسرة، فعن عبد الرحمن بن خباب السلمي قال: خطب النبي ﷺ فحثَّ على جيش العسرة، فقال عثمان: عليّ مائة بغير بأحلاسها وأقتابها. ثم حثَّ، فقال عثمان: عليّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها، قال: ثم نزل مرقاةً من المنبر ثم حثَّ، فقال عثمان: عليّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. روى الترمذي من حديث عبد الرحمن بن سمرة، قال: جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة، فينثرها في حجره، قال عبد الرحمن: فرأيت النبي ﷺ يقبلها في حجره ويقول: «ما ضرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم، ما ضرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم». روى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «من جهَّز جيش العسرة، فله الجنة» فجهَّزه عثمان. وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال في حق عثمان لما جهز جيش العسرة: «اللهم أرض عن عثمان؛ فإني عنه راضٍ». وكذلك حفَر بئر رومة وتصدَّق بها على المسلمين. وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «من يشتري بئر رومة وله الجنة؟» فاشتراها عثمان بخمسة وثلاثين ألف درهم، وجعلها صدقةً للمسلمين ﷺ... وكذلك لما ضاق المسجد النبويُّ بالمسلمين اشترى ما حوله ووسَّع به المسجد... وفي عهده جمع القرآن الكريم، وتوسَّعت فتوحات المسلمين، ووصلت إلى مشارق الأرض ومغاربها.

عبادته:

سمع عثمانُ القرآنَ غصاً طرياً من فم النبي ﷺ، فكان أحدَ الصحابةِ القلائلِ الذين حفظوا القرآنَ كاملاً في حياة النبي ﷺ، وهو الذي روى حديث النبي ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». وروى محمد بن سيرين رحمه الله، قال: «كان عثمان بن عفان رضي الله عنه يُحيي الليل كله بركعة يقرأ القرآن كله». وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال في قوله الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ إِئِنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: 9] قال: «ذاك عثمان بن عفان رضي الله عنه». وروي أن زوجته حين اقتحموا عليه ليقتلوه قالت: «تقتلوه أو لا تقتلوه؛ فوالله إنه يُحيي الليل كله بركعة». ولم يَلتَهُ ابنُ عفان بتجارته، ولا بخلافته عن كلام ربِّه، ومن أقواله المأثورة عنه: «لو طهرت قلوبكم ما شيعت من كلام الله عز وجل»، وقال أيضاً: «إني لأكره أن يأتي عليّ يومٌ لا أنظر فيه في المصحف»، وكذلك قال: «حُبَّب إليّ من الدنيا ثلاث: إشباع الجيع، وكسوة العريان، وتلاوة القرآن». وروى ابن ماجه: «أن عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ قال: إنَّ القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه؛ فما بعده أشد منه». رواه أحمد. وكان رضي

الله عنه صَوَّامًا، قَوَّامًا، كثير الخوف من الله، مولعًا بتلاوة القرآن. ومن أقواله التي تدلُّ على ورعه وتقواه، أنه كان يقول: ما زينتُ ولا سرقْتُ، لا في جاهلية ولا في إسلام.

جمعه للقرآن الكريم في مصحف واحد

في عهده انتشر الإسلام في بلاد كثيرة، وتفرَّق الصحابة مما أدى إلى ظهور قراءات متعددة وانتشرت لهجات مختلفة، فكان الخوف من اختلاف كتابة القرآن، وتغيُّر لهجته، فأمر بنسخ القرآن وكتابته، وجمعه في المصاحف على حرف واحد بلغة قريش، وكان في عهد رسول الله ﷺ متفرقًا في الرقاع واللخاف وفي الصدور؛ فجمعه أبو بكر في صحف، ثم جمعه عثمان في مصحف واحد، وسُمِّي (المصحف العثماني)، ثم نسخ منه مصاحف عديدة، فأرسل إلى كل بلد من بلدان المسلمين مصحفًا. روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك: «أن حذيفة بن اليمان قدِم على عثمان، وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف، ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهب القريشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق». فمن أجل ذا سُمِّي (المصحف الإمام).

الفتوحات في عهده ؓ:

لَمَّا تَوَلَّى أمير المؤمنين عثمان الخلافة واصل الجهاد في سبيل الله كما كان في عهد الخليفين قبله، فذكر أهل السِّيَر أنه فُتِح في عهده من بلاد فارس: طبرستان، وتركيا وخراسان، ونيسابور، وكان فتحها في عهد عمر؛ إلا أن أهلها ثاروا يريدون استرداد ما أخذ منهم وتحرير أملاكهم؛ فأمر عثمان ﷺ على الجيوش التي في البصرة والكوفة بالتوغل في بلاد فارس، ومحاربة من ثار منهم، فتواصل الجهاد في بلاد فارس، وفتحت عمورية وطرطوس وأنطاكية وشمال أفريقيا، وأمر عثمان عمرو بن العاص أن يتوجّه بجيشه إلى طرابلس وطنجة حتى وصلوا إلى الجزائر. وقد أنشأ أول أسطول إسلامي لحماية الشواطئ الإسلامية من هجمات البيزنطيين، فافتتح بلاد قبرص وما يتبعها حتى توغَّل في بلاد الروم.

منزلة عثمان ؓ عند رسول الله ﷺ والمسلمون من بعده

شهد عثمان المشاهد كلها إلا وقعة بدر؛ فإنه كان يُمرض زوجته رُقِيَّة، وضرب له الرسول بأجره وسهمه. زوّجه النبي ﷺ ابنته رقية ثم ماتت بعد وقعة بدر الكبرى، ثم تزوّج أختها أم

كلثوم ثم ماتت تحته، وكان لذلك يلقب بذي النورين، قال العلماء: ولا يُعرف أحدٌ تزوج بنتي نبيٍّ غيره، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «لو كانت لي ثلاثة لزوجته إياها». وهو أول من هاجر إلى الحبشة و معه زوجته رقية، وتخلّف عن بيعة الرضوان؛ لأن النبي ﷺ كان بعثه إلى مكة، فأُشيع أنهم قتلوه، فكان ذلك سبب البيعة، ف ضرب إحدى يديه على الأخرى، وقال: هذه عن عثمان، وسُميت تلك البيعة ببيعة الرضوان. وفي تفاصيلها أنه في الحديبية، بعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحربهم، وأنه إنما جاء زائرًا لهذا البيت ومعظمًا لحرمة. فخرج عثمان إلى مكة فلقبه أبان بن سعيد بن العاص فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ، واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قتل، ولمّا لم يكن قتل عثمان محققًا، بل كان بالإشاعة، بايع النبي ﷺ عنه على تقدير حياته. وفي ذلك إشارة منه إلى أن عثمان لم يُقتل، فوضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال: اللهم هذه عن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك. وفي صحيح البخاري من حديث قتادة، أن أنسًا رضي الله عنه حدّثهم قال: سعد النبي ﷺ أحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، وقال: «اسكن أحد، أظنه ضربته برجله، فليس عليك إلا نبيٍّ، وصديق، وشهيدان». وروى الترمذي من طريق الحرث بن عبد الرحمن عن طلحة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي رقيق، ورقيق في الجنة عثمان بن عفان». روى ابن عساکر في حديث صحيح عن أبي موسى الأشعري: «كان النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم في بعض الحوائط ومعه عودٌ ينكت بين الماء والطين، فجاء رجلٌ فاستفتح فقال: افتح له وبشره بالجنة؛ فإذا هو أبو بكر فبشرته بالجنة. ثم جاء رجلٌ فاستفتح فقال: افتح له وبشره بالجنة ففتحتُ وبشرته بالجنة؛ فإذا هو عمر. ثم جاء آخرٌ فاستفتح فقال: افتح له وبشره بالجنة على بلوى تكونُ ففتحتُ له وبشرته بالجنة على بلوى تكونُ؛ فإذا هو عثمان، قال: الله المُستعانُ وعليه التُّكلان».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نُفاضل بينهم».

وروي أن عليًا رضي الله عنه قال: «عثمان أوصلنا للرحم». وكذا قالت عائشة رضي الله عنها لما بلغها قتله: «قتلوه وإنه لأوصلهم للرحم، وأتقاهم للرب». وروي أبو خيثمة من طريق الضحاك، عن النزال بن سبرة، قال: «قلنا لعلي بن أبي طالب: حدثنا عن عثمان! قال: ذاك امرؤ يدعى في الملأ الأعلى ذا النورين، وقد ورد أن النبي ﷺ قال لما جهز عثمان جيش العسرة: ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم».

بسم الله الرحمن الرحيم

حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه

حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي صحابي بدري، دخل في الإسلام وهاجر مع المسلمين إلى يثرب برفقة سعد بن خولي مولى حاطب، ونزل عند المنذر بن محمد بن عقبة، وقد آخى النبي بينه وبين رحيلة بن خالد، وقد شارك مع النبي محمد ﷺ في جميع غزواته التي غزاها؛ فقد شهد غزوة بدر، وغزوة أحد، وغزوة الخندق وصلح الحديبية، وفتح مكة، كما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في العام السادس للهجرة كرسول للهجرة كرسول برسالة إلى المقوقس عظيم مصر يدعو فيه إلى الإسلام، فبعث معه المقوقس مارية وأختها سيرين كهدية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. ففي يوم بدر: لما سمع حاطب بن أبي بلتعة منادي النبي عليه الصلاة والسلام يقول: هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها. أجاب حاطب وخرج بسيفه. ولما التقى الجمعان عند بدر، أبلى حاطب بن أبي بلتعة بلاءً حسنًا. وفي يوم أحد، ثبت حاطب بجانب الرسول ﷺ حين انكشف الناس، وراح هو وبعض الصحابة يذودون عنه وقد عاهدوه ﷺ على الموت. وشهد حاطب بن أبي بلتعة غزوة الخندق وكانت له قصة يوم الحديبية:

ذكر محمد بن إسحاق: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابًا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم لي غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب، وجعل لها جعلًا على أن تبلغه قريشًا، فجعلته في رأسها، ثم قتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام.

وذكر البخاري عن عبيد الله بن أبي رافع «سمعت عليًا يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها» فانطلقنا تعادي بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي، فقلنا: لتخرجنَّ الكتاب أو لتلقينَّ الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله

ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة، إلى ناس مكة من المشركين، يخبرهم ببعض أمر رسول الله، ﷺ فقال: «يا حاطب ما هذا؟» فقال: يا رسول الله، لا تعجل عليّ، إني كنت امرءًا ملصقًا في قريش - يقول: كنت حليفًا - ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات بمكة يحمون بها أهلهم وأموالهم، فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدًا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادًا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. قال رسول الله ﷺ: «أما إنه قد صدقكم» فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرًا، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فأنزل الله سورة الممتحنة:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ وقد ذكر السهيلي أنه كان في كتاب حاطب أن رسول الله قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده، لنصره الله عليكم، فإنه منجز له ما وعده. قال: وفي تفسير ابن سلام: أن حاطبًا كتب: إن محمدًا قد نفر، فإما إليكم وإما إلى غيركم، فعليكم الحذر.

حاطب بن أبي بلتعة رسول رسول الله ﷺ إلى المقوقس صاحب مصر.

بعد أن عاهد رسول الله ﷺ قريشًا على السلم- صلح الحديبية- لم يركن إلى الدعة والهدوء، لقد أمره الله عز وجل أن يبلغ الرسالة، فبعث ﷺ إلى ملوك الأرض وحاكمها، فأرسل إلى قيصر، وكسرى، والنجاشي... ولمّا أراد ﷺ أن يبعث إلى مصر قال: «أيها الناس، أيكم ينطلق بكتابي هذا إلى صاحب مصر وأجره على الله؟ فوثب إليه حاطب بن أبي بلتعة وقال: أنا، يا رسول الله. فقال عليه الصلاة والسلام: «بارك الله فيك يا حاطب».

أخذ حاطب كتاب رسول الله ﷺ وشدّ على راحلته وسار إلى مصر، كان يعرف الطريق إليها فقد خرج للتجارة إلى مصر أكثر من مرة. وكان على مصر جريج بن ميناء وكان مصريًا؛ ولكنه كان يحكم مصر من قبل هرقل يجمع له الضرائب ثم يحملها إلى القسطنطينية، وكانت الإسكندرية مقرّ حكمه.

قدّم حاطب بن أبي بلتعة كتاب رسول الله ﷺ إلى المقوقس فقراه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى... أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ

بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤].

التفت المقوقس إلى حاطب بن أبي بلتعة وسأله: «ما منعه إن كان نبيًّا أن يدعو على من خالفه من قومه وأخرجوه من بلده إلى غيرها؟». وصمت حاطب، فأعاد جريج بن ميناء قوله لَمَّا رأى من الحاضرين إستحسانًا: «ما منعه إن كان نبيًّا أن يدعو على من خالفه من قومه وأخرجوه من بلده إلى غيرها أن يسلط عليهم؟» قال حاطب بن أبي بلتعة: «ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله؟»، قال المقوقس: «بلى»، قال حاطب بن أبي بلتعة: «فما له حيث أراد قومه صَلَبَهُ لم يدع عليهم حتى رفعه الله إليه؟»، فهزَّ المقوقس رأسه إعجابًا وقال: «أحسنت، أنت حكيم، جاء من عند حكيم»، فقال حاطب بن أبي بلتعة: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بغيرك بك». [إنه يقصد فرعون عندما خرج وراء موسى عليه السلام وبني إسرائيل، فنجأ كلهم الله وبنو إسرائيل وغرق فرعون ومن معه]. نظر المقوقس إلى حاطب في دهشة وبدت في عيون الموجودين تساؤلات: من أين لذلك العربي مثل هذا العلم؟ واستطرد حاطب: «إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم النصارى (الذين آمنوا بنبوته ﷺ) ولعمري ما بشارة موسى بعيسى عليهما السلام الا بشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل. فقال المقوقس: إني نظرت في أمر هذا النبي فرأيت أنه لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه، ولم أجده بالساحر الضالِّ، ولا الكاهن الكذاب، ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء - الغائب المستور - والإخبار بالنجوى، وسأظر. وكتب المقوقس كتابًا جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد... فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمتُ أن نبيًّا قد بقي، وقد كنت أظن أنه يخرج من الشام، وقد أكرمتُ رسولك وبعثتُ لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبثياب، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك».

توفي حاطب في المدينة المنورة سنة ٣٠ هـ وعمره ٦٥ سنة، وصلى عليه عثمان بن عفان. وأخبر الرسول ﷺ أنه لا يدخل النار، فقد جاء عبد لحاطب بن أبي بلتعة يشكو حاطبًا فقال: يا نبي الله ليدخلنَّ حاطبُ النار. فقال صلى الله عليه وسلم: «كذبت لا يدخلنَّها، إنه شهد بدراً والحديبية» رواه مسلم. ولحاطب رواية للحديث النبوي عن النبي ﷺ رواها عنه ابنه عبد الرحمن بن حاطب ويحيى بن حاطب وعروة بن الزبير. ■

كيسنجر: لهذه الأسباب فشلت الولايات المتحدة في أفغانستان

في مقال له منشور في «إيكونوميست»، أشار كيسنجر إلى أن فشل جهود الولايات المتحدة في مكافحة التمرد في أفغانستان كان بسبب عدم قدرتها على تحديد أهداف قابلة للتحقيق، ولم تكن الأهداف العسكرية واضحة بما يكفي، بينما كانت الأهداف السياسية عبارة عن شعارات فضفاضة وغير واقعية... وأدى الفشل في دمج الأهداف العسكرية والسياسية إلى توريط الولايات المتحدة في صراعات دون نهايات محددة... لقد أفتعنا أنفسنا أنه في نهاية المطاف أنه لا يمكن أن نحول دون إعادة تشكّل القواعد الإرهابية إلا من خلال تحويل أفغانستان إلى دولة حديثة بمؤسسات ديمقراطية وحكومة تدير البلاد دستوريًا؛ لكن ذلك لم يكن سهل التحقيق بسبب تعدد مكونات الشعب الأفغاني... والتي كانت دائمة مناوئة بشدة للسلطة المركزية... وتتركز السلطات في أيدي زعماء القبائل وأمراء الحرب الذين تدور بينهم صراعات طاحنة؛ لكنهم يتحالفون عندما تحاول قوى خارجية السيطرة على البلاد، مثلما حدث عندما اجتاح الجيش البريطاني أفغانستان سنة ١٨٣٩، وقد أدى ذلك إلى طرده، ولم ينجح حينها من القتل أو الأسر إلا أوروبي وحيد، كما اضطر الاتحاد السوفياتي للانسحاب من أفغانستان سنة ١٩٨٩... لقد استطاعت أفغانستان إحياء الخلافات السياسية على الساحة الأمريكية، حيث إن ما كان الفريق المعني بمكافحة التمرد يعتبره تقدّمًا على الأرض، اعتبره الشق السياسي فشلًا كارثيًا، وقد عمل كلا الجانبين على عرقلة الطرف الآخر في ظل الإدارات المتعاقبة من كلا الحزبين... وأهملت الولايات المتحدة في ظل تلك الخلافات طرح خطة بديلة تجمع بين كل الأهداف القابلة للتحقيق. ولم تنسق الجهود مع الدول المجاورة لمكافحة التمرد؛ من المؤكد أنه كانت للهند والصين وروسيا وباكستان مصالح متباينة، لكن استراتيجية دبلوماسية خلّاقة كان باستطاعتها أن تضع مع هذه الدول خططًا مشتركة للتغلب على الإرهاب في أفغانستان... لم تجرّب الولايات المتحدة بتاتًا هذه الاستراتيجية... لقد آلت المفاوضات في النهاية إلى انسحاب أمريكي غير مشروط في عهد الرئيس بايدن... والانسحاب كان مأساويًا ومفاجئًا.

الوعى: لا شك أن انسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان كان مدلًا... ولا شك أن أمريكا أدركت فشلها منذ عهد المعتدي الأول بوش الابن؛ ولكن هذا الانسحاب لا يعني ترك أمريكا للمنطقة؛ خاصة وأنها منطقة استراتيجية بالغة الأهمية لها، وإنما المتوقع أن تكون خطتها الجديدة تقوم على تأجيج الصراع بين المسلمين هناك في المنطقة بمن فيهم الأفغان وبين الصين، واللعب على وتر أن الصين تعادي المسلمين الإيغور وتضطهدهم؛ وبذلك تنقلب الأدوار؛ وتصبح علاقتهم مع الصين علاقة دموية... على أن تقوم الولايات المتحدة من وراء حجاب بدعم المسلمين هناك عن طريق عملائها من دول الخليج أو من تركيا أو من الهند أو من باكستان. فليحذر الإخوة في طالبان والمسلمون هناك مما يكاد لهم. ■

الإسلام يمكن أن يكون بوابة لرؤية عالمية أكثر ديمقراطية وتعددية

في مقال له بموقع (ميدل إيست آي) قال الدكتور آلان غابون، الأستاذ المشارك في الدراسات الفرنسية ورئيس قسم اللغات الأجنبية وآدابها في جامعة فيرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية إنه - وعلى عكس الخطاب السائد - يمكن للحركات الإسلامية تعزيز المشاركة المدنية، ونزع فتيل إغراءات «التطرف»، والمساعدة في اندماج المسلمين في الغرب، وتشكيل نظم مدنية ديمقراطية في الدول ذات الأغلبية المسلمة. ونقل عن الفيلسوف البارز جاك رانسيير بأن عدم التمييز بين الحركات الإسلامية تؤدي إلى نتائج عكسية بشكل عميق، وأوضح أن الحركات الإسلامية ليست متجانسة، وليست جميعها ضد الديمقراطية، بل متنوعة والاختلافات بينها كبيرة لدرجة أنه لا يمكن التوفيق بينها، وأن تجاهل ذلك خاطئ. وأورد مثلاً على ذلك بالاختلاف بين «تنظيم الدولة الإسلامية» و«حركة النهضة التونسية» قائلاً إن الفجوة بين الاثنين شاسعة لا يمكن التوفيق بينهما حتى لو كان كلاهما «إسلامياً». ونسب إلى جوسلين سيزاري، إحدى أكبر الأكاديميين بشأن الإسلام في العالم، قولها إن القول إن الإسلام يؤدي إلى العنف والتطرف هو رواية زائفة، مؤكدة أنه في ظل ظروف معينة، يمكن أن يكون الإسلام بوابة إلى رؤية عالمية أكثر ديمقراطية وتعددية. كما نقل عن كليمنتين لاروك قولها إنها بمجرد وصولها إلى السلطة، تميل الأحزاب أو الحركات الإسلامية إلى الاعتدال بل حتى إصلاح نفسها، مع السعي للابتعاد عن الجماعات الأكثر راديكالية، وخاصة «الجهاديين». وقال إن كبار الخبراء الآخرين في الإسلام، بمن فيهم جون إل إسبوزيتو، الباحث الرائد عالمياً في هذا الموضوع، أظهر أن البحث الحقيقي عن العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يقع في قلب المشروع الإسلامي، وأضاف غابون أن العديد من حالات الإسلاميين في السلطة تظهر أنهم إذا أتاحت لهم الفرصة فهم مستعدون تماماً للعيش وفقاً للقواعد الديمقراطية. فحركة النهضة في تونس يمكن لسلوكها أن يعلم دروساً في الروح المدنية والسلوك الديمقراطي للأحزاب الغربية. وحزب العدالة والتنمية الإسلامي الحاكم في تركيا يعتبر نموذجاً للسلوك الديمقراطي، ومثال آخر مهم يذكره غابون، هو مصر في عهد الرئيس الراحل محمد مرسي والإخوان المسلمين. فربما كانت فترة ولايتهم موجزة؛ لكنها تميزت بتوسع جوهري ونوعي في الديمقراطية. وختم غابون مقاله بالقول إن التشهير الشامل والفاضح بـ«الإسلامية» والإسلام السياسي، يتجاهل عن عمد وجود اتجاهات إسلامية ديمقراطية.

الوعمي: إن محاولات الغرب لا تفتقر في الكيد للإسلام، والعمل على ديمقراطيته، ودمج المسلمين في مفاهيم الحياة الغربية، وجعل الإسلام روحياً فحسب بإبعاد الجانب السياسي عنه... هذه المحاولات تتخذ من حركات الاعتدال الإسلامية لتكون واسطتها في تحقيق اختراق لها في هذا المضمار. ■